

الرجل الناجح

تأليف

فخرى يوسف سحر

مقدمة

الرجل الناجح ذو الشأن الخطير لا يوجد ارتجالاً ولا تكون ذاته إلا عمل الزمان ومهما تكن مواهبه الطبيعية يلزمه أن يقيها إلى أعلى مراتب الفخو والإثمار بثقيف مستمر لأن استكمال الإنسان للحلال الرجولية يقتضي في كل عصر الإرادة القوية والعلم النافع والإيمان الوطني والعمل المتواصل مع قمع الأهواء والاهتمام بالصحة .

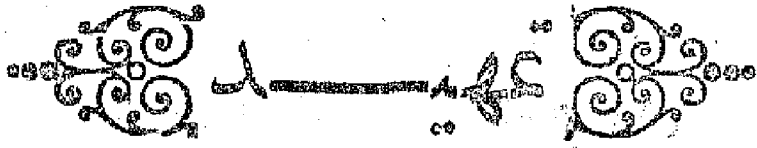
وجنوح نفس الإنسان لمصير رجلاً مجهوز أن يخطر بالبال ويتحقق بالوجود في كل سن غير أن هذا الميل ينبغي أن يكون خاصة عند الشبيبة التي تنفتح أمامها أبواب الرجاء والامل في المستقبل .

والأيسر الحياة الجميلة فكراً سامياً للشبيبة يتحقق في سن الرجولية ؟

ألا تعترف متى بالهتافات الكثيرة التي تتعالى من كل ناحية تطلب رجلاً تنمض بواجباتها على أكمل وجه وأعلى ، وتنزع نفوسهم الكبيرة للتجلى بالصالح ورسوخ الاعتقاد . ويحبون أن يكونوا ذوي شأن أدبي خطير حتى إذا كانوا أرباب أعمال إدارية يضحون قوات اجتماعية حقيقية تتوافر فيها الحلال الانسانية النبيلة ؟

والحقيقة أن الشعوب في جميع أنحاء المسكونة زادت أو قلت
إنما لا يتقدمها في كل أمة إلا نخبة تنظم الوسط وتقوده وتمده أو
توجهه . وحياة الرجال الكبار قدوة لغيرهم وهي بمثابة سماء
يرون فيها ما يسعهم أن يكونوا .

المؤلف



النجاح :

غاية سحرية تستهوى الالباب وتستميل العقول بالجازبية السكينة
في معانيها إلا أنها فتاكة بطشت بالسكثيرين من الذين طابوها من
غير باهم وتركتهم هياكل تسمع في فيافي هذا الوجود . وهو قوة
تهتز لها النفوس الكبيرة القوية فتهدد أمامها غياهب الظلام المخيم على
وادي الحياة بنورها حيث يسكن الفشل ويشتهد الشر وحب الذات
والجشع المتناهي وغير ذلك من الصفات التي شوهت محاسن الرجولة
وكادت تقضي على كل ما هو جميل فيها وتركها على مستوى الحيوانية
النجاح قاموس عامر بالمعاني البليغة ظهرت في أنجم صورها
للسكثيرين من الذين كانوا يظهرون لآخوانهم في الانسانية أنهم
قابضون على ناصيته بيد أنهم مجردون من كل عناصره فسقطوا وكان
لسقوطهم دوى عظيم فحذار من بطش هذه الغاية وقتلكمها إذ أن
قتلاها يفوقون قتلى السيف .

والنجاح لا يكون واحداً باعتبار الجميع لانه يترتب على استعدادات
خاصة ومتفاوتة غير انه على كل إنسان أن يعتقد ككون الزيادة في
قدرته على النجاح ممكنة وفي متناول يده إذا أحسن الظن بنفسه

وأعتقد أن في استطاعته بلوغ الدرجات الرفيعة والاقدار الخطيرة
لأن العالم يفسح مجالا للرجل الذي يعقد النية على ادراك مبتغاه والذي
يزدري بأشد الصعوبات التي تعترضه في سبيل تحقيق أمانيه والذي
لا ينسرك على نفسه المقدرة التي أودعها فيه الخالق يوم أرسله الى هذا
العالم ليترك فيه آثار عزة نفسه وقلبه الكبير الخافق على الدوام لفعل
الحير وهو سائر في طريقه من المهد الى اللحد .

نصائح :

إذا أردت أن ترقى درجات النجاح وتتسور شرفات العز والشرفه
تقلد الحق والاستقامة والذمة الطامحة والضمير الحى ولا تسمح
للأفكار السوداء أن تطرق ساحة عقلك ، أنك تعس قليل البهت
عديم الحظ وبائس ، انكر ذلك بشدة وعود نفسك وهذما على
عدم الاعتراف بالضعف وعلى عدم التمسك في العيوب الادبيه
والجسديه أو العقلية .

انكر أنك ضعيف لا تستطيع أن تعمل عملا ما يعمله الآخرون
وانك مغلول اليدين فترضى من دهرك بالدون في موقف من
مواقف الحياة .

اخفق كل شك يتسرب اليك واقتله قبل أن يقتلك .

لا تفكر ولا تتكلم أو تكتب عن فقرك أو عن العساسة
المحيطة بك .

احذف من حياتك كل ذكر يقيم لها حدوداً أو يهوق غمرها
أو يلقي عليها ظلاً مظلماً . احذف من ألفاظك كلمات الضعف وعدم
المقدرة حتى يفارق الشك . احذف عقلك لمنفرد اليقين بالاقامة فيها .

اطرد عنك الخوف ألد أعداء الإنسانية لأنه لا يصدر إلا عن
الشمور بدم السكفأة أو بدم المقدرة على التغلب على أشد
المصوبات التي تفاجئ الإنسان وهو في ميدان العمل .

تجنب سرعة الانفعال والغضب فلا تأمد أحداً من اخوانك في
الإنسانية ولا تتصرف في حياتك اليومية تصرفاً يحمل الآخرين على
الاعتقاد بأنك تعتمد مس احساساتهم أو مشاعرهم واطرد من أمامك
كل مهاجر الاحتقار والاستهزاء .

لا تقبل حياة الرضى بحياة متوسطة سهلة المئال لا موضع فيها
للجهد أو التعب واسمى في بذل كل جهدك للحصول على حالة أرفع وأعلى
هي حالة (الرجولة الناجحة) .

كيف تستطيع أن تكون حراً ناجحاً وسعيداً وأنت مسجين وعبد
للأفكار المشيدة على أنك فقير وسيء . الحظ ١٩

وكيف تنتظر أن تكون موقفاً في الحياة وأنت دائماً تتسكلم
عن سوء حظك .

وطالما أنت تفكر أنك دودة صغيرة فقيرة بائسة فانت كذلك
لأنك لا تستطيع أن تكون غير صورتك التي تصور بها نفسك
لنفسك . فاذا اعتقدت أنك تعيش بائساً لاحظ لك في الحياة فانت

كذلك من غير شك . وثق أنه لا توجد في العالم على اتساعه عقاقير
أو أدوية نافذة تستطيع انقاذك من هذه الحالة غير تحويل
مجرى افكارك .

القيمة للشخصية :

تعلم أن تكون رجلاً وأنت تشق هملك في دور الطفولية بالمعرفة
والعلم حتى إذا ما انخرطت في سلك مدرسة الحياة العملية أنك النجاح
صاغراً يطالب الانتساب اليك لأنك شرفت عملك . سواء كنت
وزيراً كبيراً تدير شئون الدولة أو عاملاً صغيراً في الشارع .

فظالما اتسم عملك بسمة الرجولة فأنت في زمرة الناجحين لأن
القوات العاملة على جلب السعادة لكثيرة منها المال والاصطفاء
والمناصب إلا أن هناك أمراً واحداً لا يستغنى عنه العاقد النيسة على
النجاح في الحياة وهو القيمة الشخصية والرجولة . فالذي يقف متسربلاً
ببهاء الاصلاح لا يكون ضعيفاً في الحياة ولا منسياً في الممات . اذا
يتمايع ثروة أية أمة من الأمم ليست في الحقول ولا في الاحراش
والغابات ولا في المناجم بل في دور التشقيف والتعليم .

تأكيدات ومقدرة :

ان العظماء الذين قاموا بمظانم الاعمال الباقية أثارها على جميع
الدهر لى دروس نافعة وعبر بالغة للذين يدرسون ويعتبرون الاقوال
بأنهم أقوياء في تأكيداتهم وأن لهم مقدرة ايجابية هائلة تنذك أمامهم

جبال الصعاب خوفاً وهلماً وأن تأكيدهم بوجود قوة فعالة في
داخلهم واقتناعهم بالمقدرة على العمل لما يدعو إلى العجب حين تجدهم
يتكلمون كما لو كان لهم سلطان والحقيقة أن الإنسان مخلوق لا يكون
سيد جميع المخلوقات .

ماذا يكون حال العالم اليوم لو عدل جاليليو عن أبحاثه لما رماه
أهل عصره بالهوس والجنون أن العلم قائم على ثقته بأن الأرض
مستديرة وإنما تدور حول الشمس بدلاً من أن الشمس تدور حولها .
ولو أن كورنيليس قد عدل عن رأيه وقد فقد ثقته في نفسه لما
ضحكت عليه كل أوروبا ونقته بالجنون .

لقد كان لنا بليون وبسبارك وهييجو وغيرهم من الرجال الناجحين
الآيمان العظيم في أنفسهم حتى أنهم سموا فوق البشر وعرضوا
أنفسهم إلى السخرية .

إن هذا الآيمان قد ضاعف قوة هؤلاء العظماء .

انظر كيف استطاعت جان دارك الفتاة القروية الضعيفة أن تقود
الجيش الفرنسي في هذا الآيمان السامي وتلك الثقة العظيمة في نفسها
وكيف استطاعت أن تقود أولئك الألوف من الشجعان البواسل كما
لو كانوا أطفالاً بهذه الثقة عينا : إن هذه الثقة الإلهية قد ضاعفت
قوتها حتى أن الملك لم يسمعه سوى طاعتها . ولقد برز اسم جان
دارك في التاريخ فشي في أحقابها علماً من الإلهام ورمزاً من
رموز التضحية والقداء في سبيل الوطن

ولقد استطاعت جان أن تنفخ من روح قومها فقادته من نصر
إلى نصر حتى تحرر الوطن الفرنسي من احتلال الانجليز وكان ذلك
في خاتمة جهادها الشريف واقتربت بأعجب محاكمة عرفها التاريخ إذ
تحالف أكبر قادة الفكر الفرنسي مع أعظم رجال الدين دهاء بل
مع رجالات جامعة باريس العظيمة وأثر فيهم ملك الانجليز وقوادهم
ولفخوا أشنع الاتهامات ضد فتاة وادعة بريئة .

ولقد توافرت في كل ظروف هذه المحاكمة سوء النية والقصد
وكانت المرافعات فيها صعبة لا تستند إلى أساس ، ومع ذلك اظهرت
جان كل شجاعة وثبات وخبرة بشئون القضاء وهي الفتاة الامية التي
لم تبرح قريتها الصغيرة عن قبل فكان ذلك اسطورة من الاساطير
الخالدة . ولا عجب إذا كان الفرنسيون بعد ان ردوا إلى
جان دارك اعتبارها قد انزلوها في أنفسهم منزلة القديسين الارار
ووضعوا عنها الكثير من الكتب الروائع واقتنوا حياتها الشريفة
جهاداً ومقصداً لا بناتهم وبناتهم ليتعلموا كيف يكون الاخلاص
لله والوطن .

الثقة بالنفس :

والثقة بالنفس قوة مبدعة تذهب طموها أشد الصعاب الرابضة
في طريق الانسان .

فاذا اعتقدت عن يقين جازم أنه في مقدورك احراز النجاح فأنت
تستطيع ذلك دون شك فلا تقل قد ذهب النجاح من بين الناس

وانقضى عصر الرجال الناجحين - ولا تقل أن الله سبحانه وتعالى قد جعل من النجاح النهاية القصوى في عظماء العصور الفائرة مثل سقراط وأفلاطون وابن رشد وابن سينا وباكون وديكارت وهيكل اعلام الفلسفة - وكرومل واليهصابات وفكمتوريا ولويس الرابع عشر وبطرس الأكبر نوابغ إدارة شؤون الملك - وبت وفوكس وغلادستون وبسارك ورشليو وكافور وشيشرون ومحمد قادة الشعوب بتفوقهم في الخطابة السياسية - ووليم الطائر وبلوخر وهندنبرج وفوش رجال السيف في الحروب

وهو ميروس وملتون وشاكسبير وهييجو وشوقي ألسنة الوحي والالهام الشعرية - ورسكن وكارليل وامرسن وتولستوى أبواق الإصلاح المصارخة صرخا يستنمض الهمم ويوقظ النفوس من سباتها العميق .

لا تقل شيئا من ذلك لأن عمل النجاح لم ينته بعد إذ أن أعظم قادة الفكر لا يزالون مجهولين .

لا تقل شيئا من ذلك لأن الهيئة الاجتماعية لا تزال في احتياج شديد إلى اصلاح المصلحين الذين يشعرون بواجباتهم من نحو اخوانهم في الانسانية

المبدأ الوحيد :

والاتسكال على النفس هو المبدأ الوحيد الذي يجب اتباعه والعمل به مهما كان نوع العمل والطبيعة تقول للانسان . اشتغل يا بني اشتغل

في كل حين . اشتغل سواه مأجوراً أم غير مأجور ، كل ما عليك ان
تشتغل وجزاك ان يضيع . اشتغل مهما كان نوع الشغل دقيقاً أم
غير دقيق كأن يكون حراث الحقول أو نظم الاشجار وايكن شغل
بأمانة ولن تعدم أجراً ومهما فشلت فلا تيأس ولا تنجبن أنك للفوز
خلقت وأقل جزاء تستحقه عن عمل تنجزه هو أنك انجزته .

وجوائز الحياة أكثر من أن يستنفدها العمل والاجتهاد
والثبات والنجاح فان المجال واسع والجماعات كبيرة والميدان فسيح
وقصب السبق نصيب المجتهدين كثروا أم قلوا .

فلا تنظر الى صاحب المهنة الحقيرة بعين الازدراء اذ ليس نوع
العمل بل الروح التي ينجز بها فلا ينبغي لنا أن نخفق أو نهبط لان كل
مهنة شريفة على الاطلاق ، لا فرق بين تهذيب الاشجار وتهذيب
الاخلاق ، وحسب الشريف المحترف حرفة بسيطة أو المتخذ له مهنة
محتقرة أو شاقه أن يحسب نفسه سالماً في الوعر طريقاً مستقيماً تنتهي
به الى غايته فيقتني آثاره التابعون ويكفون بفضل تقدمه شر الضلال
ومؤونة التخبط على غير هدى .

ذكريات :

ان الجنس البشري تواق الى التقدم وأن آماله فيه وطيدة وانه
يبحث مطية الى ادراك تلك الآمال والانسان كفرد من الجنس مع تقدمه
في السن تقل رغبته ومطامحه وتحل ذكرى الماضي في صدره محل

آمال الشباب في المستقبل ؛ ويبيت لا يعبأ بكثير من الأمور التي كان
يرغب فيها في عهده حداثته وصباه ومن نعمل أفعاله في صباه وشبابه
تكون ذكراه في هرمه وشيخوخته . ومن أبلى بلاء حسنا في عهود
القوة والنشاط فما عجز الكبر إلا راحته المشرقة بذلك المناء . ولعل
مسررات الشباب تفوق مسررات الكبر في شدة التفوق والرغبة ولشها
أما مسررات الشيخوخة فأكمل وأرذن وتفوق مسررات الشباب بهجوم
المسلوان والتعزية الذين يكونان جزءاً جليلاً للحمية والفيرة والنشاط
الذي أظهره في ماضيه .

فالشيخ بماضيه والشيخوخة بتذكاراتها وإن الحياة ملأى من
المسررات التي هي أليد من أن تدوم ولكن ذكراها أشهر من التمتع بها .

[illegible]

الحرية

عوائق النجاح وضرورة التحرر منها

من السهل أن تترشح الجبال وتهدف بها
بميدا من أن تنزع أغلال الرق والبودية ممن
يصرون على التمسك بها .
الحرية رخيصة مهما كان ثمنها .

لكل شخص طبيعي كأن كان في هذا الوجود قوة فعالة محفوظة
داخله تساعده على تقوية حياته والوصول بها الى تمام التوفيق
والنجاح . ولا يكون هذا إلا إذا كان حراً في اظهار كل ما هو جميل
وعظيم فيه . ولم يكن مقيداً بقيود أدبية اجتماعية أو مادية .

والجبن مانع قوى من موانع الحرية يلقى الكـثيرين من الناس
في سجن الظلام العقلي فلا يصلون الى طور الحرية التي لا ينالها
الانسان إلا عن طريق التربية والتدريب .

فلو رمت الوصول الى نهاية النجاح في الحياة والى ملء عظمة
النفس الذي يدعم القوى العاقلة ويركزها على قواعد متينة يجب أن
تقال الحرية مهما كلفتك . لأنك لا تجد بدلاً لفقد أجمل ما فيك
وأفضله . وخير لك أن تظهره غير مهال بالتضحية .

وكثيراً ما يتألم الانسان ويسقى في مقاومة الموانع والعوائق

التي يلزم لمحاربتها أن يظهر للبلا متانة أخلاقه الكريمة ويكون هذا
عن تحريره من الظلام .

أما التمنيات التي لا تحقق والمطامع التي لا تخرج الى جز الوجود
هي أمراض تنخر في قلب الرغبة وتمتص قوة الاخلاق وتلاشي
فكرة تحقيق الآمال وتسحق من الوجود كل ما هو جدير بأن يكون
مثلا أعلى . فهي تدمر حياة الرجال وتصيرهم أصدافا وهياكلا بدون
أرواح فلا يبقى لهم من الانسانية غير الشكل الخارجي . وانهم
أعتقد أن الانسان لا يكون سعيداً في الحياة حتى يظهر ما يميزه به الخالق
من المواهب ويحقق ذلك الميل العظيم الذي يصرخ صراخاً عالياً في
طبيعته حتى يحسن استخدام تلك الموهبة التي كان القصد منها أن تكون
أعظم مواهبه وأفضلها .

ولا يستطيع إنسان أن يحيا حياة ناجحة طالما كان مغلولاً في جزء
من طبيعته لذلك يجب أن يكون حراً في أفكاره وفي أعماله ولا يحمل
بين حنايا ضلوعه ضميراً مكبلاً بمسلسل وقيود ولا يحجب نشاطه
ونبوغه عن الظهور في ميدان الأعمال الشريفة .

أظهر ذاتك ولا تكن غير ما أنت .

ولا تتكل على انسان ولا تعتذر بحجه أنك لست كفاءاً لعمل المطلوب
منك القيام به .

قليلون من الناس عبيد لأنفسهم والباقيون عبيد لآرائهم أو لجماعة
أخرى يقف أفرادها حجر عثرة في سبيل رقيهم فلا يفعلون ما يريدون
بل يبذلون كل جهودهم في اكتساب معيشتهم فقط غير مباليين بالحياة

المثل التي يعمل فيها الانسان الحلى ساعيا الى الخير لان الانسان
الافضل هو الانسان المجتهد العامل الذي يدرك أنه عضو اساسي في
جسم المجتمع .

وكثيرون من الناس اليوم يستنزفون قواهم العقلية والبدنية
لاجل فائدة الآخرين وهم في الواقع أكثر اقتداراً من الذين
يخذلهم ولا أنهم في حالة يرثى لها من الاستعباد لان الديون سواء
كانت مالية أو أدبية أو اجتماعية قد ربطت قواهم فأصبحوا عاجزين
عن إظهار اقتدارهم .

وهل يوجد شيء في العالم يجد فيه صاحب الآمال الكبيرة ما
يعادل خسارة حريته في العمل وحرية في الكلام والافتتاح أو
الاقطاع ؟

هل في استطاعة الأموال أن تسوِّض على الرجل ما يلاحظه من الذل
والامانة والانعطاط ، واعتذاره عن كل شيء من غير حق بينما في
وسعه أن يكون مرفوع الوجه ولا يخشى أحداً في العالم ؟

لذلك يجب عليك ألا تشغل مركزاً بغض النظر عن الباعث سواء
كان مرتباً كبيراً أو جائزة مالية ما دمت لا تقدر أن تمثل فيه دور
الرجل الحقيقي .

ولا تنبع أفكارك ولا تسمح لباعث من البواعث أن يعقل
لسانك عن النطق بالحق واعتبر استقلالك الشخصي حقاً لا يباع
ولا يوهب ؟

واحذر من ضياعه انلا تفقد أثمن ما لديك في الحياة .

إن هبة واحدة من مواهب الحرية أفضل بكثير من الذكاء المرتبط
بقيود الاستعباد والمعتزل بجمال الاستسلام الذي لا يأتي صاحبه أى
عمل فيه خسارة شخصية ، لأنه ما الفائدة من عقل كبير محصور في
جبر صغير لا يعمل غير عمل قزم صئبل .

لذلك يجب علينا لكي ننال النجاة من أنفسنا أن نقطع العلائق مع
كل شيء من شأنه امتصاص قوانا البدنية أو الأخلاقية وأن نضع حداً
لضياع الحياة مدى فيما يضر ولا يفيد .

ويجب أن نقطع العلائق مع كل شيء يسبب الاحتكاك الذي
يؤدي إلى أضغاف العزم واتخاذ القرور نحقيق المطالب العاليه وخفض
مقياس الحياة الى الحد الأسفل .

وإن نهجر كل شيء يفضى الى قتل جرائم المطامع وبجملنا نقتنع
بالحالة المتوسطة .

عوائق التنباح وضرورة التحرر منها :

المستعبدون للعادات الرديئة غير قادرين على اظهار ذواتهم
الفاضلة في أعمالهم ولا تمنعهم عن ذلك غير ذهاب قوتهم الحيوية
جزافا بسبب العادات الرديئة واللام والحلاعة .

واخرون تمنعهم عن بلوغ النجاة في الحياة الاخلاق الدائمة
والطبائع الثابتة كالعدا وصلاية الرأي في غير محله والسفالة وحب

الانتماء والغيرة الشريفة والحسن وهؤلاء أصحاب الطباع الشاذة كالحيوانات المقيدة في حداث الحيو ان فانهم يادى الامر يتمردون لضياح حريتهم ويبدلون الجهد في الافلات ولكنهم سرعان ما يعتادون على الاستعباد تدريجيا حتى يستنوا .

غير ذلك توجد عراقيل أخرى تعوق نجاح رجال الاعمال وتحبط مساعيهم منها الدين والشريك الشرير الطماع والارتباط الاجتماعى الذى لا ترافقه سعادة

فالاحرار حقيقة قليلون وهم الذين يملكون قيادة أنفسهم وأما الذين يملكهم الغير فيسيرون فى طريق لا يرغبونه لانهم ليسوا أحرار ويصرفون الحياة فى تسديد ديون قديمة نشأت عن فساد الرأى والتمور فى العمل والجهل فى دخول البيت من غير باب فبدلا من الاسراع الى معرفة طريق الحياة الحقيقية يحاولون تعويض وقعهم بفقود بفقد وقع جديد فهم دائما أبدا فى مؤخرة جيش العاطلين لا فى مقدمة جيش الناجحين الذين يقولون : الوقت من ذهب .

والرجل الذى يثق بكل شخص يعجز نفسه ويضعفها والرجل الذى يساعد كل انسان ولا يحسن من يساعده يربط اقتداره الخصب المتمر ويعوق عمله بالخطل فى الرأى أو بالافتقار الى الحاسة الاجتماعية فى العمل لان الانسان الذى يستخدم قوة مميزة سليمة ورأسا لا يشط عن جادة الصواب لهم من الفائزين فى معترك الحياة

لا تورط نفسك فى عمل ما بل اجعل مبدأك فى الحياة الصراحة مع الاخلاص على شرط الا تعرض شيئا للضياع فقبل التمرد فى

عمل ما فكر فيه من أوله الى آخره ولا تقبل عليه إلا إذا كنت على يقين جازم من المخرج ولا تجازف باقتدارك ولا تخاطر بسماعاتك المازلية وأموالك التي إقتصدتها على رجاء الحصول على شيء نظير لاشيء .
وانم قرنك المميزه في أيام الصغر ومرن نفسك على الحرص حتى تركز اليها لأن قوتك المميزه أفضل صديق تعمل عليه وحامتك الاجتماعية أكبر شريك لك في حياتك وقد أعطيت لك لارشادك والمحافظة على مصالحك فاعتمد على هؤلاء الأصدقاء الثلاثة وهم . القوة المميزه والحرص والحاسة الاجتماعية وأنت لن تكون تحت رحمة الرياح المعاكسة .

قيمة الخيال في حياة الرجال

وين العالم المفكرين (الخياليين)

ان ثبات الخياليين على تنفيذ خططهم ينتصر دائما على اولئك
المجردون منه .

اخرج الخياليين من العالم وقل لي بعد ذلك من الذي يهتم بمطالعة
أليسوا هم طليعة جيش المصلحين قادة الانسانية الراقية الى الكمال
الروحي والأدبي والاجتماعي - هم الذين بظهور محدود به وحياة
تقطر عرقا هو في الحقيقة دم حياتهم يحفرون الطرق التي يسير الانسان
عليها الى الامام من جيل الى جيل - وما الحاضر إلا المجموع الكلي
لاحلام العصور الفائرة - ان أحلام الماضي هي حقائق اليوم الراهنة
فالباواخر العظيمة التي تمخر عباب المحيطات والسراديب العجيبة التي
تسير فيها القطارات تحت الارض والجسور والكبارى الفاخرة التي
توصل بين مكان وآخر والمستشفيات ودور الكتب والمدن الكبيرة
بما فيها من وسائل التسهيلات وكنوز الفن وكماليات الحياة هي نتيجة
أحلام (المتهوسين) في عرف الناس - رجال الاصلاح والعمل في
نظر الحقائق .

يقول الرجل المحروم من موهبة التخيل عن أمرها أن هذا العمل
لا يمكن عمله بينما يقول المتخيل أن هذا العمل يمكن عمله ويصر على

أحلامه وتخیلاته مستهيناً بالخسائر حتى ولو أشرف على الموت جوعاً
لا يرجع عن غيه حتى يدرك ما يريد وتصبح خيالاته واختراعاته
واكتشافاته وافسكاره عن تحسين حالة الإنسانية حقائق راضية يمكن
العمل بها .

الخيال في الفن وفي الأعمال أيضاً :

وان أعظم الرجال العاملين هم الذين يستطيعون النظر بعيداً في
المستقبل ويرون المدنية الآتية هم الذين يستطيعون نظر الرجل المقبل
محرراً من قيود العصر الحاضر وحدود دائرته وخرافاته التي كانت
تقضى على أهله . هم القادرون على التنبؤ بالأمور العتيدة أن تأتي
بقوة تصيرها حقائق - هم الذين أدركوا المستحيل .

تجارب مريعة واختبارات مؤلمة سر غورها رجال ونساء في
السجون لأجل تخیلاتهم وأحلامهم التي كان مصيرها رفع الإنسانية
من أسفل درجات الانحطاط إلى أعلى مراتب المدنية الراقية وتحرير
الإنسان من مشقة العمل ومن عناء الجهاد .

ان الأحلام والتخیلات التي من أجملها التي جليليو وغيره من
كبار العلماء في قاع السجون المظلمة وأطهدوا أطهاداً لم يعترف بها
كعلم إلا بعد موتهم بزمان طويل .

ان حلم جليليو أعطانا سماء جديدة وأرضاً جديدة - وأحلام
كوفوشينوس وسقراط صارت حقائق في حياة الملايين .

وقد قيل عن السيد المسيح أنه متخيل وحالم ولكن حياته كانت
نبوة وفلسفة وعلمها عن الحياة المقبلة للإنسان والمدينة المقبلة ورأى
رواء هذه الصورة صورة الرجل الذي يقصده الله ورأى وراء هذا
الرجل الخافض الضعيف المشهور العاجز الرجل الكامل الذي هو
صورة الخالق .

رؤيانا هي دلائل حقيقية عن غدنا .

إن رؤيانا لا تسخر بشا لأنها دلائل وإشارات ورموز هي
ما سيكون في المستقبل ونظرات سابقة عن الحقائق المزمعة أن تخرج
من عالم المجهول إلى عالم المعلوم .

قدرة التخيل :

وان أقدس ميراث الإنسان هو اقتداره على التخيل ولا يهم
ما نقاسيه من القدماء اليوم إن كنا نرى في الغد ذوا مقيا وهناء دائما
قيمة الخيال .

إذا جردت الرجل العادي من خياله وأوهامه فقد حرمته سعاداته
التي يحلم بها كذلك من يسلب هؤلاء المساكين قوة الخيال التي تخرج
كل غناء من أشغالهم التي تنهك القوى ؟ ومن يحرمهم من أنواع
الترف والنعيم التي يتمتعون بها في أحلامهم عن مستقبل أفضل وتربية
أرقى وكاليات أكثر لاجل الاعزاء لهم ولا يوجد وراء كلامي ولا
منبه فعال ولا مقور مؤثر كأنه ظار شيء تفضله في الغد فالتخيل هو

انحص مميزات الانسان بصرف النظر عن فقره ونحس طالعه فهو
واثق بنفسه لا يعول على غيره ولا يخشى قوة القضاء والقدر والسبب
في ذلك اعتقاده باقبال ايام المم والهناء .

فالكاتب يستطيع ان يعيش في معمل يخصه يشيده له خيمته
وكذلك افتراقة مشتتة في احد المعامل يحلم عن بيت جميل يخصه .

والقدرة على الخروج من الارتباك والتغلب على التجارب
وقهر الانماط والتخلص من وسط يسود فيه الخلاف والنزاع للوصول
الى جو الوفاق والجمال والحق اعظم قيمة من كل الجواهر .

نعم ايها الشباب ان تكون مقتدراً في كل شيء وعلى كل شيء
لان الامل والشجاعة والمزم على مواصلة الجهاد في الحياة لا يفيد
شيئاً لو نزعتم عنك قوة التخيل .

لان هذا التخيل وهذا الرجاء وهذا الانتظار على أمل تحسين
الأحوال في المستقبل هو الذي يحفظ فينا روح الشجاعة والأقدام
ويخفف أثقالنا ويزيل كل العقبات التي تعترضنا في الطريق .

اعرف رجلاً قد احتمل تجارب متنوعة وكابد صعوبات كثيرة
ووقف مواقف تفتت الالكاد ومع ذلك فكل شخص يعرفه يستغرب
من رقة طباعه ولين جانبه وعذوبة منطقته وميزان عقله وجمال اخلاقه
الكريمة ويقول أنه مدين بكل شيء لاقداره على التخيل ولأنه
يستطيع ان يرفع نفسه من شر الحالات واكثرها تشويشا وارتباكاً
الى الهدوء التام حيث لا يرى غير الجمال في كل شيء . ثم يعود الى
عمله في غاية النشاط وجسمه في منتهى الصحة والقوة .

إساءة استعمال قوة التخيل :

ويمكن إساءة استخدام واستعمال القوة المتخيلة كثيرها من القرى وكثيرون من الناس لا يعملون شيئاً غير التخيل فيصرفون همهم في بناء القصور في الهواء دون ان يبذلوا مجهوداً واحداً في سبيل تحقيقها .

ما أجل التخيل متى كان لك شجاعة وإصرار على العزم ان تجعل تخيلاتك تسابق الحقائق وتنافسها .

واعلم ان التخيل دون مجهود والخيال بغير معنى وراء ادراك هذه الاماني يلحق ضرراً بالغاً بالأخلاق .

لا تنقطع عن التخيل . شجع رؤياك واعتقد اعتقاداً راسخاً ان احلامك عزيزة وابدل جهدك في تحقيقها .

فهذا الدافع الذي يتوق الى العلاء والذي ينظر الى فوق والذي يشير الى أشياء أفضل هو « هبة الله للانسان » التي قد لنا الى الطريق الموصل اسماء النبل والأخلاق والنجاح . ان حياة الانسان نسخة طبق الاصل من احلامه فلهذا الافضل نبوة عما تصير اليه حياته في مستقبل الأيام .

الفصل الثانى

الارادة

قال ديكارت ، الارادة هي أشد ما فينا التصاقا بنا - حتى أن
عقلنا وحسنا لا يفوتان أن يكونا شيئين لنا أما ارادتنا فهي
نحن أنفسنا ،

وقال لا كوردير ، من لا يحسن قيادة ارادته فلن يصير رجلا .
فان مقياس قدر الرجل قوة إرادته ، .

ندرت الارادات القوية في وقتنا الحالى لاسباب ترجع الى قبول
الحضارة ليس على وجهها الصحيح مما دعى الى فساد المروءة والانسانية
وعدم التوجيه الثقافى المطلوب ثم ضعف الاعتقادات الادبية والدينية
التي تترتب عليها الاخلاق القويمة .

والنجاح فى الاعمال لا يتوقف على العقول الكبيرة بل على
الارادات القوية . فنحن نحكم على مستقبل شاب فى المدرسة بناء على
رتبته المدرسية يخطئ ويضل السبيل وتقرم بعض المدارس الانجليزية
بعدم منح جائزة النجاح لا جرد التلاميذ عقلا جريا على عادة كافة
المدارس بل تمنحها لاجلهم أخلاقا وهذا الاصوب لما فيه من
الاثبات لافضلية الارادة .

وقد يبطل النجاح كثيراً أو قليلا تبعاً لاهلية الشخص لكن
الجهود المتواصلة تكافأ حتما لان الارادة القوية الثابتة ليس فى مقدور

الناس ولا الطبيعة صدها عن أغراضها حتى أنها إذا استقرت عند
إنسان امتنع أن يكون وضيعاً فالارادة هي القوة المنظمة التي تعين
وتبين قدر كل إنسان بقدرتها الطبيعية ولا سيما المكتسبة .

ولديك العلماء والمخترعون وأرباب الصنائع والفنون والكتبية
وكل الرجال الناجحين هم بحق رجال ارادة وحزم .

وتحصيل العلم لا يصير بعمل العقل وحده بل بعمل الارادة
أيضاً . فان كانت مشقات تحصيل العلم لا تتم الا بانمكاف العقل على
التحصيل انمكافاً لا يتسرب اليه الممل ولا توهنه الصعوبات
ولا المراجعات ولا طول التبحر كذلك اختبارات العلماء (كباستورفي
عالم الميكروبات وروفايل في بدائع التصوير والنحت وغيرهم)
ونبوغهم الذي يحسبه العامة سهلاً بديهياً ليس في الغالب الا صبراً
طويلاً وثبات جهودهم حول تركيز قوة ارادتهم . أما نقص الارادة
دليل في الغالب على قلة الذكاء .

وكبار رجال الارادة لم يكونوا أفضل طبيعة من سائر الناس
لكن كثيرين منهم أحرزوا انتصارات تفوق المعتاد . واقد ارتضوا
كل ضروب الامانة وتسلطوا على شهواتهم السفلى ونسوا أنفسهم
قادرين غاية النجاح الحقيقي .

بذلك نستطيع أن نقول أن أي إنسان خلا من الارادة القوية
الثابتة لا يمكنه إصلاح عيوبه ونقائصه .

كان المارشال فوش وهو يدرس في المدرسة الحربية يكرر على

تلاميذه هذه العبارة « النصر على قـدر الإرادة » فانتصار الجيش
يترتب في الغالب على ارادة قواده وجنوده وبأسهم أكثر من
هدهدته وعدته .

والظاهر على قدر إرادة الظاهر .. والمحركة الحاضرة إنما هي المحركة
التي يظن أنها خاسرة . فالارادة الجريئة الثابتة هي التي حملت الانسان
على اختراق الجبال وحفر المضائق تسهيلاً لطرق المواصلات بين
الشعوب وهي التي رفعت على سطح الارض الوفا من البساتات الفخمة .

تأمل حياة نابليون و ارادته الجديدية وقوله المأثور « العزم
الثابت أعظم حكمة عند الانسان » وكيف تمكن من الاستيلاء على
أوروبا بفضل هذه القوة .

إن عمل الإرادة يظهر حيث لا يظن أنه يظهر حتى في الصحة لأن
الصحة الجيدة تؤثر على الإرادة وكذلك الإرادة تؤثر في الصحة . فهمي تعين
حدود الراحة والتغذية بالنسبة للعمل وتدخل ذلك الى مقاومة الأمراض
لأنه معلوم أن الاوبئة تصيب أشد الناس خرقاً وهلعاً . أما أصحاب الجأش
الرابط والشهامة والإرادة الوثابة فهم أبعد الناس من عدوى الاوبئة وللعال

فالترقي إذا والنجاح والنصر والاستحقاق والبسالة والفضيلة
والبطولة كلها مرتبة على الإرادة . إذا الانسان يستطيع عمل ما يريد
عالمًا قد يحى من ذهنه كلمة « لا أقدر » وكلمة « محال » وما شابه ذلك
فقد قال كرليل ليست كلمة محال بكلمة مستطاعة ولا يرجو من
بدت على شفاههم نفعاً وكان سوفاروف الجنرال الروسي العظيم يقول

لمن يعتقدون بقولهم (لا أقدر - محال) إعمالوا - حاولوا - تعلموا .
وينجب عدم الخلط بين الإرادة والعماد الدميم والتشبث بالرأي والحدة
الشنيعة أو بهائق قوى كمحبة الذات وكأنه يمنع المباهي بحماسة فان هذه
الاشياء بدل أن تكون دايلا على الإرادة تدل على عكسها من وهن
وضعف واصل السعي الى الغرض هو ما ترجاه ولا نجبن تجاه ما تلقاه
من العقبات والحبوط في طريقه .

فأخ الإرادة رابط الجأش مترو في عزمه متبصر في عواقب عمله
قوى يملك بواعثه للعمل ويقم سداً منيعاً في وجه سيلها الفوضوي
صبور لا يباشر عملاً يريد إلا بعد أن تطفأ أول نار حماس تنأجج
في قلبه . ويقم على رابط الجأش غير مظهر شيئاً من انفعالاته
ومناصباته الباطنية وهو في الجملة مالك لنفسه ضابط لأهوائه .

قيمة الإرادة :

والإرادة وإن كانت تعاون على انماء الخير إلا أنها لا تتطلب
من صاحبها الدمثة التي هي ضرب من الضعف تقوم بافراط التسامح
تجاه مقتضيات الغير ونحول حياة صاحبها الى تقاعد أبدى .

وكذلك لا تتطلب منه السداجة غير الخيرة لان هذه تفترض
عظمة نفس حقيقية وغاية مثلى جميلة وعقلاً مثقفاً . أما السداجة
فتنشأ عن عقل حقير اعتيادي أو دون الاعتيادي والافعال التي
تشير بها تريد أن تكون صالحة لكنها لا تكون إلا تافهة كما يقترن
بها من قلة التروي وكثرة الاسراف للذين هم ليسوا في حاجة اليه .

ويظهر ازاء هذا مداهنين كثيرين . فالشباب الرزين لا يثق بأقوال
الملتزمين ولا يقبل التقاريط إلا بمن لهم سلطان اعطائها وهم يقرنونها
بلوم مستحق وللفادة المرجوة .

كيف نتعلم الارادة :

من أقوى الوسائط وأفيدھا لتهديب الارادة اختيار وتصور
غاية أو أمل تسعى الى تحقيقه وتتجه بكل جهودك نحوه .

وهذا التصور ينبغي أن تجعله نصب عينيك ليصير عليه العلم
مهاذيتة ويستميل اليه قوة الفاعلية الداخلية والخارجية ويحتكرها
لنفسه . لا ترى أن الرجال الناجحين لم يفكروا في غير الوصول
الى ما ربههم فلديك نيوتن مثلاً وباستور وسائر العلماء صرّفوا أفكارهم
الى اكتشاف النواميس العلمية الغير مستكملة الظهور . ونايليون حول
كل فكرة الى الفتوحات . وما أصحاب الالوف والملايين في أيامنا
هذه يوجهون أفكارهم الى وسائل الارباح .

والتصور يكون قويا إذا أسندنا اليه ميلا وتشويقا .

إذا من شاء ارادة قوية وجب عليه أن يقرن كل فكر عزيز عليه
بميل بلائمه ولا يألو جهداً في تعزيز ذلك الميل .

فحبة العلم مثلاً تولى العالم التجلد على العيش في العمل المتعب
للعقل والبدن . ومحبة المال تحمل عشاقه الى تجشّم كل الصعاب في الحصول عليه
ومحبة الوطن تبعث الجند على أن يقتحموا الحرب وأهوالها .

ومحبة الاديان تحمل المتدينين على مقاساة كثير من الذبائح
والنقشعات فاذا اقترنت العاطفة بالارادة عظمت قدرتها وهكذا لما
الارادة تذوب في بحر الاشواق والرغبات فسرعان ما تجسد النفس
مدفوعة بهذه الموامل الى الوصول لغايتها .

نشاط الارادة :

ومن مظاهر نشاط الارادة التأمل المستمر في فضائل عظماء
الرجال لما فيها من قدوة مشوقة .

وواضح أيضا أن الرفاهية والتأنق اللذان في الملابس والمأكل
والمسكن لا تساعد على انماء المزية . كان كريستوف كولومب ابن
منجدويوس العاشر ابن خمار (صاحب خماره) لم يكن عزيمة هؤلاء الرجال
وأمثالهم تغلبت على كل الاحوال المعاكسة لهم وأصبح الفقر أقوى
معرض لهم على الارتقاء .

قيل إن أحمد اصدقاء تولستوا سألوه مرة ما الشر العظيم
الذي تتمناه لعسوك ؟ فاطرق رأسه ففكر وقال : أن يولد
أبناءؤه أغنياء .

الهيئة الخارجية وعلاقتها بالارادة :

للهيئة الخارجية دوراً لا بأس به في تقوية الارادة حتى وأن
لاحت كأمس ثانوى إلا أن حركاتنا تعرب عن سيرتنا وتكون
أحياناً بيئة الدلالة كالسلام الملفوظ وحكمنا في صاحبنا على حسب

ما يبدو لنا فلا يمكن أن يوجد من يفرض وجود العزيمة عند شاب
هيئته كشيئة ومشيتها فائقة تأته وخامل بينما الشكل يقطع بوجود
العزيمة والحزم عند شاب يمشى ثابت القدم مرتفع الرأس منتصب
القامة ، حاد النظر قارنا ذلك برصانة الصوت المأزج عن البسالة
والتصنع والتخلف إذا فالهيئة المصاحبة لفعل ما تم عن أفكار
الانسان ويمكننا أن نقول أيضا أن الهيئة التي يلبسها الانسان
تساعد على تحقيق الغاية المثل التي يرمى اليها .

لان الفكر يولد الفعل وكثيرا ما يولد الفعل الفكر أيضا .

واللهجة والمنطق أيضا ليسا من الاشياء التي يحوز اهمالها لان
الانسان الباطني بظاهر ويتصور بما يقوله وبكيفية قوله .

فاذا تلفظت بغاطة وخرجت عن المعنى المألوف وسالت بلا
تبصر بالمبادئ السائرة على ما بها من المخالفة لطبيعة قوية تتوخاها
فقد رهننت على قلة المبالاة ونقص أدبي لا يتفقان مع صدق الرغبة
التي تدعو اليها .

أما الشاب المتكثر للتمذيب الأدبي والنطق بحسب قواعد
الكلام فيخشى التصنع مراقبا لفظه لئلا يكون سريعا حاداً فيدل
على أنه لا يقود زمام نفسه - أو لفظه بطينا فيدل على ضعف عزيمته
والاصلاح لطبعه وتمديدها لا يكون الا بتأريين ملاءمة أولها التنبيه من
لفظه كيف يحى . - وإذا كان في خبطة ما لا يروق الناظر يجب أن
يمكنف على اصلاحه ونحو يده - ومتى أصبح مهذب ومتقن وموافق

وهناك من الشبان من يلوهون عصرهم ويشككون من أنهم لم
يوجدوا في عصر أفضل . فان انصرفوا الى الصناعة أو التجارة أو
الزراعة كانت شكواهم من اليد العاملة أو احتكار التجارة وما الى ذلك
من الاعذار . وفي الواقع أن من أنزلوا أنفسهم هذه المنزلة فقد
تأهبوا للانقلاب في معارك الحياة . فالرجل الخلق بالعظمة والتجاح
لا يبالي بكل هذا بل يصرف كل همته الى مستقبل طيب ناضر .

والارادة تستمد الثبات والعزم من القلب فمنه نريد أن نعرف
الحق لا لنا نخبه وعلى قدر ما نخبه نلج في معرفته أما عدم المجالاة
بمعرفته فهو الدليل الحقيقي لخلونا من محبته .

على أن للقلب قوة يعتمد عليها العقل ليوضح له الاشياء كما قال
بسهكال . ولقلب أداة لا يفهمها العقل . فهو يحمل اليه شعورا بالحق
ينضم الى فهم الحق ويقوم مقامه أحيانا .

واعلم أن الحق لا يبذل نفسه طوعا للعقل المتصلف القليل المجالاة
بل للنفوس الساذجة ذات الاستقامة والسخاء . وهو يفر من عقل
من تغويهم اللذات المادية ويقبل بوجهه على النفوس النقية وبذلك
يكون الرجوع الى الحق بالعقل أقل منه بالقلب والارادة . والتسليم
بالحقائق الدينية مثلا لا يكون الا بفعل الاعتناق والمحبة .

ويقول شيرى : أن الضمير كالقلب في حاجة الزيادة يتوق اليها
والواجب أن لم يكن ساميا فليس بشيء والحياة تسمى تافهة اذا لم تشمل
على علاقات أبدية .

أما الإنسان الأدنى هو المصدر الحقيقي لكل عظمة بشرية فمن فاته
لا يمنحه أن يكون عالما كبيرا أو بطلا صنديدا أو رجلا عظيما لكنه
أن يصير رجلا ناصحا بمعنى الرجولة الارتفاع . فإن الناس يبتخلون
عليهم بالاحترام والاعتبار ويخلعون على من هم أقل منهم عقلية
وطبيعة بشرة الفضل والاستقامة والأدب وكل التوافق بين
المبادئ والأفعال .

والرجل الماقل الذي يصبو إلى النجاح يشمر في قرارة نفسه بأن
قوته الفاعلة لا تطيق انحصارا محدودا مصالحه ولذاته وأنايته فإذا
اقتصرت على مجازاة شهرته السافلة فلا يصدق كونه انسانا حقا . لأنه
يرى من خلالها خيرا أسى يوجه إليه كل فعل من أفعاله وكل قوة
من قواه ويحس بدافع يدفعه إلى الامام ليصير أكبر وأفضل وأكمل
وهذا الاندفاع نحو الأفضل يظهر له على مضي الوقت أنه اجباريا
فيعتقد أنه واجب عليه .

حقا أن الأحكام الأرضية والانسانية البارزة المشيدة على الكرامة
والاعتبار والشهرة فمعجزها واضح وهي تائهة وغير ملازمة للإنسان
في أكثر الأحيان . ويقول رنان في كتابه "مرك أودال" يقول
بعضهم أن لم يكن لهذا العالم سجل يجمع كل فلسفة الجزاء فمن ضحى
بنفسه في سبيل الحق والخير ينبغي أن يترك العالم راضيا ويساخ إليه
أن هذا في منتهى السذاجة والغرابة .

لماذا وضعت فيه غرائز خداعه فأخذ يحبائل خداعها صالحة

لماذا تلك الضمانة الممنوحة للمستثمر والشريك . اريد أن يكون المستقبل لغزا أما اذا لم يكن مستقبلا فيكون العالم نحا مرعبا .

إن حب الحق يلزمنا أن نتخذ مكرزا أقوى وأرقى أما الصلاب والادعاء فهو ضد الحقيقة والواقع . لذلك ينبغي ألا نتمنى ما يتمناه الرعاع غلاظ الفهم بالشوق إلى رؤية عقاب الاثم وهتك عرض الفضيلة وليس فيما نريده هذا شيء من الانانية أو محبة الذات بل هو قصد شريف يدور حول التعلق بمؤسس الحياة فننتسم فكرا المبدوء لنصل إلى الأمل المقهور ولأن نعرف أن نعيش ونعاين ظفر الحبيب الذي أحبيناه .

مقاييس الارادة البشرية :

نقاس الارادة البشرية بمقاييس كثيرة فالنظر إلى شيء ما يقتضي منك جهدا لتراه والاصفاء اليه جهدا لتسمعه والتبصر جهدا لفهمه . كذلك ان أردت أن تعمل هذا أو ذاك فهذا يقتضي منك جهدا في حمل الطبيعة على إصدار كل ما بوسعها لأن الفكر الذي لم يعبر عنه والعمل الفني الذي لم يخرج من حيز التصور كل هذا مادام لا يباشر بالعمل فإنه يظهر هيئا . أما أخراج الفكرة أو التصور إلى عمل أو صورة أو تمثال ومباشرة العمل للوصول إلى القصد المطلوب فذلك يقتضي الجهد ويكشف عن قيمة الإنسان . وتظهر هذه المقاييس بوضوح وجلالة في محبة الفرد للارادة القوية والسعي في تنميتها وفي الصبر ومزاولته ومقاومة الميل الطبيعي الذي يقتل الارادة .

قيمة الجهد في تنفيذ الإرادة :

الجهد أشرف وأنقى لذات الحياة - فمن يجهت بالمصاعب ويصل طبيعته القتال ويقهر فنوره الفطري ويقمع شهوات بدنه ينشئ في نفسه لذة تولد عنده محبة الحياة لأن تقوية النشاط بهذا الجهد عينه يكسر من افراح الحياة وهو أفصل نواه لقتل السأم والملل.

فاعلية العادة على الجهد :

ولولا العادة التي يخفف علينا تدريجيا من ثقل الجهد حتى نصير لانبالي به لكان كل جهد عفيف يجهى متعبا وثقيلا ولكانت تموت ههنا المرأة ويتولانا الفشل .

فان السباق والملاكمة والالاب الرياضية تنعب المضلات في بادىء أمرها كذلك الدروس الفلسفية والعلمية أول ما يشرع بها الانسان تثقل الدماغ غير ان الجهود المستمرة تولد الاهلية لدرس خطير تنعب أقل ونجاح أوفر .

قال أرسطورا « العادة طبيعة ثانية »

وقال دوق والنترن « العادة أقوى من الطبيعة »

ولما كانت العادات ذات قوة عظيمة ولا يجوز لك ان تملك منها الا الجيدة فارل خطورة تخطرها قد تكون صورة تنقيدها طول عمرك وأن كانت رديئة فقد تكون كل حياتك منصوبة على الخطر . اذارأيت

ومنظم وأظيف ومحافظ على اللياقة والأدب بحد وسائطه التقوية
أرادته . ولكن ماذا ينفع الأدب والتربية الجيدة والمدنية على الإطلاق
إذا كانت لا تنشئ الرغبة في إثارة شهوة سامية عالية .

من كانت الشهوات منظمه أنت بممرات عظيمة نافعة أما إذا
أطلق لها العنان أصبحت مضره . قال بسكال : لا شيء يصير عظيما بغير
الشهوة . فلا شيء أشد اقلاقا لباطن الانسان من الشهوة ، ومن أقسى
الشهوات ابلاها للانسان شهوات الغضب الذي يصحبها الخوف غالبا
والغضب والخوف هيجان وانفعال والهيجان في رأى عالم النفس
هو اضطراب نفسى وعضوى سببه ظهور لامر يحيد رغباتنا
أو يحاكمها والخوف والغضب من الهيجانات البسيطة الاولى التي
يحدثها عند الطفل ولما كان الخوف أقدم أصلا من الغضب . وسبب
الخوف ظهور مفاجئ ، لظرف استا متهمين له ولا نستطيع الهرب
منه لأنه لو أمكن الهرب لما وجد الخوف الحقيقي العميق وقتا لبتحقيق
أثمائه أما حين يستحيل الهرب فالخوف يشتد ويمر عنه بالانكماش
فيختبئ الخائف أو على الأقل يستتر وجهه بيده أو بثيابه أو بالحافه
ويترجم الخوف جسديا بالارتجاف وأضعاف الضبط والدقة
وتنقبض له الاوعية الدموية فتسبب فقر دم واصفرار اللون . وينقطع
الافراز اللعابى فيجف الحلق وقد يحدث اضطرابات في الافرازات
الاخرى وكذلك في ضربات القلب وفى التنفس . غير الشعور الداخلى
من الاضطراب والايهام الذهنى والضيق الذى يصل حد الالم والرغبة
في الاعتماد من مسكان الخوف وسببه الخوف مرتبط دوما بفريزة

حفظ البقاء ولذلك فالمجهول مخيف وكذلك الظلام وغيرهما . أما في حالة الغضب فالسبب فيه رغبة تقاوم أو مواجهة مفاجئة . ومظاهر الغضب الجسدية ازدياد خفقات القلب وازدياد ضغط الدم واندفاعه في الشرايين مما يسبب احمرار الوجه ولحمان المينين وتعبئة مقادير من الحويصة بمر عنهما بالصراخ أو الضرب أو الشتم يضاف الى ذلك تزايد في التنفس واتساع في المنخرين . أما داخليا فيضطرب الشعور ويحس الغاضب بتوتر متزايد مما يشعر الانسان بأنه في حالة انفجارية ويتركز الانتباه بتركز شديد حول سبب الغضب وتزداد رغبة الغاضب في الايذاء متى أفرغ الغاضب ما هبأ من قوى جسمه عضيه حرار تحت أعصابه وعضلاته المتوترة . ويتضح أن الصلة بين كل منهما هييجان أصيل في النفس وأن الاعضاء التي تمر عنهما تكاد تكون واحدة ولكن طريقة التعبير مختلفة وهذا يكاد يكون من الثابت عند علماء النفس أن الغضب عادة أميل الى الخوف من غيره والعكس صحيح ولا سيما في الاحوال المرضيه .

والهاديء الذي يحسن ضبط أعصابه أشد مقاومة للغضب والخوف من الشخص الذي يمشي على أعصابه (كما يقال) فهذا سريع الغضب كثير الخوف سهل الاثارة في كل حال .

والطمع ولذة البدن التي إذا ناصبها الانسان عزوار ترفع أما إذا انقاد اليها ذل وانخفض كذلك الميوب والنقاد لهم الطفيفة لا ينبغي أن يغفل أسرها لأنها وإن بدت صغيرة لا ترى بالعين إلا أنه يأتي وقت ليس في المستقبل فيه تظهر نتائجها الوخيمة . يقول في ذلك كنفوشيوس ضمن تعاليمه " لا تهمل إصلاح الشر مهما يبدو صغيرا فإنه قد ينمو حتى يفهمك "

تهذيب الإرادة :

يقول الراى النظرى أنه من المستطاع تهذيب الارادة فيستطيع تنفيذ ما يرغبه بشرط أن يريده ارادة جديده ويصرف كل هممه لإخراجه الى حيز الوجود .

أما الراى العملى يرى هذا صعبا لما يقوم فى وجهه الرغائب الطبيعية من موانع لم تكن فى الحسابان وما يتهدى للجهود النبيلة من مقاومات عنيفة .

وبدعم هذا الراى بأن الإنسان يرث أشياء كثيرة تتحكم فى كيانه ونخلاق فيه كثيرا من الميول قبل أن يستطيع قبول العلم بنفسه ومنها الوسط الذى يحول دون الفضائل بما فيه من المبادئ والتأثيرات الموهنة لان الطبيعة وأحوال الهواء والبيئة لها يد فى رغبة العمل فأرد يدعو الى العمل والحر الشديد يقود الى الاسترخاء والكسل والأراضى الخصبة تنبث سكنا بشوشين واسمين وتولد ذوق اللذة والرغبة فيها أما الارض المجردة تبعث الى التجرد والاعتناء والتبصر والتقشف والرزاقنة - والارض التى يكث فيها التربة والإثمار يكون أهلها أقل استنباطا .

ومنها أيضا الجنس الذى يمنع سكان بعض البلاد والأقاليم أن يأتوا بجهود ويكسبوا فضائل بينما يبلغ غيرهم هذا الغرض بالأعناء . ومنها الوقت فإنه لا يحصى ملأنا للعمل كل حين . إذا تهذيب الإرادة يتطلب كذا طويلا وتغلب الإنسان على نفسه لا يحصل

بلا عراك شديد ومستمر . كما أن أجمل البساتين وأجودها نظاما إذا
أغفل أمرها طمست طرقها وارهفتها وخنق النبات البرى أزهارها
كذلك الطبيعة البشرية في حاجة الى تهذيب كل حين حتى اذا أحرزت
الظفر عليها يلزمك أن تؤيده بوقائع شديدة .

استكمال تهذيب الارادة :

واستكمال تهذيب الارادة صعب على الجميع وأصعب على البعض
غير أنه ليس في سبيل انتهاز الارادة عوائق لا نخطم لأن بقوة
الحرية المعنوية لنا من الله سبحانه وتعالى نستطيع التسلط على
أنفسنا والحصول على الغايات الرفيعة السامية .

والخلاصة أن العقل الذكي ومحبة العمل والنظام وذوق العمل
والحس الأدنى ليست مقصورة على بلد دون الآخر لأن لكل إقليم
وبلد رجاله الذي يفاخر بهم .

قيمة العزم والحزم .

وكلنا نعانى تأثير المدرسة حيث يقدم المعلمون التدريس والتهذيب
ونعانى تأثير الرفاق السوء الذين باهو جاجهم نألف فسكر الشر إذن
أيمنع على الشاب أن يتقى تأثير محيطه . إن صاحب العزم والحزم
لا يكثرث لشيء مما يصنعه الغير بل يعرف أن يكون نفسه ويجهده
نفسه في تحسين الوسط حوله ولا يزال حتى يبلغ الى تعديل
أو تغييره .

هل يشك انسان في أن هذا العزم الثابت قد يضيف قوة الى
ونك وهل يرتاب أحد في أن هذا العزم الكبير يجعله يقدم على
انجاز العمل ؟ لم يقدر الاستمراء أو التشهير بمهابة الاعداء أو ابتعاد
الاصدقاء أن يزعزع ايمانه الذي لا يقهر .

كان لسائر رجال الاحمال العظام ايمان قوى بأنفسهم وهذه
الايمان هو الذي صير القوة العسادية الحاكمة في أولئك الرجال
ضمففين أو ثلاثة أمثال .

ويعزى نجاح معظم الرجال البارزين الى ثقتهم الهائلة بأنفسهم
وهم يعتقدون كما كان نابليون مثلاً يعتقد بأنه لا يعرف معنى الهزيمة
أو فتور الهمة فهو يقدم على كل شيء بذلك اليقين الحازم وتلك الثقة
المعجبية التي تكسب نصف المعركة قبلها يخرج سيفه من غمدته للقتال .

ومن الغريب المدهش أن العالم يذعن منزهة لرجل الحزم والعزم
وأن المواقف نزول من طريق رجل العزيمة الماضية الذي يثق بنفسه
وأن التراب يستحيل الى ذهب في بوتقة الحزم والعزم والاقدام .

ومن المبادئ المتينة أنه لا توجد في العالم فلسفة أو حكمة بها
يقدر الانسان أن ينجح عملاً من أنس في نفسه المعجز وعدم الاقتدار .

ولا يوجد قوة تستطيع أن تقهر رجلاً قوياً يثق بنفسه ولا يكثر
باستمراء الناس وانظمتهم وتنديدهم على صفحات الجرائد فإن الفقر
لا يخمّد نشاطه والبؤس لا يعيقه عن مطالبه والعناء لا يشغيه عن
عزمه قيد شعرة .

أسباب الفشل :

كم من الزمان يستغرق نجاح شاب يجهل رأسه مستودعا لأفكار الخيبة والاندحار ولا يعدل عن هذه الأفكار حتى يرتوى ويلبغ منها وكم من الزمان يستغرق نجاح شاب يحقر نفسه ولا يتكلم إلا عن الخيبة ولا يقلد إلا الخائب في السير والملبس ولا يكف عن ذكر المصاعب الغير المستطاع التغلب عليها التي تعترض مسيره ولا يخطو إلا في الطريق الموصل الى الخيبة والفشل ؟ لا شك أن نجاحه من المحال.

ويهدى فشل الناس الى أسباب ثلاثة . الشك واحتقار النفس وضياع الثقة فطالما أنت تبحاس الذين كان نصيبهم في الحياة الفشل وتنظر الى الحياة من الوجه المظلم وتنطق كلاما هو عين الشك والخوار وخمود الهمة فتصيبك الاخفاق وفشل المسمى فيجدر بك أن تحول وجهك الى جهة أخرى وتقطع تيار الفشل والخذلان وتملأ لمبك غيرة وحماة.

وتواصل مجهوداتك وأنت ستجد الاشياء قد تغيرت ولكن يجب أن ترى عالما جديدا قبل أن تعيش فيه . لانك لا تفوز إلا بما تراه وتعتمد به وتسمى في الحصول عليه.

وهكذا طالما نحن نستقي مسراتنا من اليما بيع المصاغبة الثقية والوسائل المشروعة البريئة لحياتنا تبقى في أمان وسلام ونجاح ولكن الساعة التي فيها نبيع لانفسنا الاقرباب من الشر في تلك الساعة عيها نكتب على أنفسنا كلمة الشقاء ونقضى على حياتنا بالحرمان من السلام والعزاء

ويفتح بابا للبلايا والنكبات وفي الحقيقة أن الحياة مملوءة بالكثيرين
الذين ينجحون في عقولهم وأبصارهم وأجسامهم ونجاحهم ومستقبلهم
عن طريق الإباحة للنفس .

أن علة العمل الداعية الى فشل المساعي هي أننا لا نعتقد بانفسنا كما
يجب . الا ندرك القوة الكامنة فينا وأن الانسان خلق ليرفع رأسه
ويتصرف كالظافر لا كحبيد الرق كالفائز لا كالمهزوم ؟ أن نحس النفس
حقا جريمة هائلة لا تغتفر .

أنت سيد الظروف :

إن الفقر مهما كان قاسيا والبؤس مهما كان قارصا فهذا أو ذاك
لا يكون عثرة في سبيلك لو أنكرت قوته واعتقدت بتفوقك على
الوسط الذي تعيش فيه ووثقت بنفسك أنك خلقت لتسود على الذين
حولك وأنت سيد الظروف لا عبيدها .

اذكر وأنت في طريق النجاح إن الأمان هو حلقه الاتصال التي
تربطك باللانهاية وهو المرشد الذي يقودك الى الطريق الموصل الى
القوة الغير المحدودة وهو حقيقة حياتنا الكبرى .

وإن الاعتقاد بالنفس ببيده أكبر أعداء العمل كالحوف
والارتياب والرهبة ويزيل الوف الموانع التي تحول دون نجاح
ضميف الارادة ومتقلقل الرأي - والفقر والفشل لمن ضيوف النفس
والمصائب التي يخشاها الناس كثيرا ما تحصل بهم وإن الفائق والهم

يضعه فان قوتهم العقلية ويفلان مرهفات قواهم المبدعه والموجدة لدرجة
انهم لا يستطيعون أن يستخدموها كما يجب .

واذكر أيضا أن النقي لا يفيد ان لم تدعهم بالجد والعزم والنشاط
وانك لا تستطيع تساق جدران العز والشرق والنجاح إذا كنت
تفكر في الانحطاط .

الغيرة في العمل :

لا تسمح لنفسك في حال من الاحوال أن تقوم بعمل روح
العبودية التي تفسد الخلق وتؤثر في توازن القوى الفكرية ولا بأس
إذا حكمت الظروف عليك بعمل غير مستحب اليك هذا وان في كل
ما تدعو اليه الضرورة نفع وفائدة وانما يتوقف ثمر العمل على وجهه
نظرنا اليه ونصرفنا ازمه .

ان الرجل الذي لم يقف على أسرار ايجاد العنا، عن طريق عمله
بوضع نفسه الناطقة فيه لم يتلقن بعد المبادئ الأولية للنجاح والسعادة .
ومما لا ريب فيه أنه في استطاعة الانسان أن يشرف
العمل العادي ويرفعه الى مصاف الاعمال التي نفتخر بها .

أما مصيبتنا هي أننا نسكتفي من الحياة بالوجود فيها على أي حال
وضيع ونقوم بعملنا كيفما اتفق من غير تفكير .

أن نزع عمل الانسان له أثر عظيم في طريق حياته فان كان
عمله وضيعة كانت أخلاقه وضيعة كذلك وكل ما يميز رجل النجاح

سكيرا أو مستبيحا فاحكم بأنه بعد أول سكرة أو فعله شذواء انقاد
لعمل الحاصل عنده من فعله الأول ولم يعد يسمى في تحصيل عادة مضادة
لما الإرادة المستقرة في الخير فهي في حاجة دائما الى جهد يدفعها
الى طريق الكمال بعد النجاة من معارك الأهواء المؤلمة التي تستعيد
النفس .

إذا لا تأذن لعادة شريرة بالدخول اليك وإذا أنست من نفسك
الالتصاق بعادة قبيحة فاقنمها بما أوتيت من قوة وأغرس مكانها
عادة صالحة وتذرع بكل الوسائل لانقاذ مقاصدك .

وعاقب نفسك إذا أغفلت وسقطت .

التمس من صديق أو مرشد لك أن ينبهك الى نسيانك

واحتفظ بما يلائمك من المواقف والأفكار لا تهمل نفسك بعد
انكسار ولا تجبن في طلب الانتصار حين تجد التفاوت العظيم بين
حقارة ما فعلت والغاية المظلمة التي تصبو اليها ولك من نعمة الله
أيضا عضد قوي لتمكين جهودك وإيلائها بالخصب والإثمار الطيبة .

الفصل الثالث

نهوض النفس

النفس والوسط :

لو جمعتك الظروف بحيث غيّر الناجحون وتحدثت الى كل على حدة لو وجدت جمهورا كبيرا قد فشلوا لانهم لم يوجدوا في وسط يستنهض الهمم ويثبت فيهم روح الشجاعة ولانهم لم يكن فيهم قوة كافية تساعد على التغلب على تأثير وسطهم الفارق في مهار الرذيلة الباعث الى اخذ نيران الهمّة ومهقّم الناس الذين نجدهم في السجون وفي مأوى الفقراء لهم ضحايا تأثير الوسط الذي يحرك شر ما فيهم بدلا من تحريك خير ما فيهم من الميول - لذلك وجب عليك أن تقترب الى الذين يفهمونك ويمتقدون بك فمع العقلاء منهم حكم عقلك ومع الانسانيين منهم توسل والنس ومع الطغاة لاتضيع وقتك لانه لا جدوى من هذا ولا تحاول معايشة الا الذين يحاولون انيان أهمال خالدة ويريدون أن يكونوا رجالا يشار اليهم بالبنان .

عاشر اصحاب المطامع النبيلة والأغراض السامية واختلط بأهل الجود والكبر لان حب الرفعة والطموح الى العلى يعدي .

ان نجاح أفراد وسطك الذين يحاولون تسليق شرفات العز يثبت فيك الشجاعة ويحضك على الجهاد في ميدان العمل حتى تخرج فائزا منتصرا .

التربية بالتهذيب :

يشعر الرجل الغير المتعلم بحيرة دائمة لا يستطيع الافلات من
أمامها حينما يصطدم بحقيقة أمام العلم وجماعة المتعلمين فيحاول
ويحاول إلا أنه لا يقدر تحصيل الفائدة المرجوة من أى عمل ما مهما
كان غنيا بالمواعب الطبيعية لأنه جاعل وقيمته في تحصيل الفوائد كاملة
تسكاد لا تساوى صفرا بحسب زميله صاحب المواعب الطبيعية
ومقدرته العلمية لذلك لا يسكن في أن يكون للانسان اقتدار لحسب لان
الاقتدار لا يكون فعالا من غير تهذيب العقل .

إن الجمل يثمر بؤسا ووذيلة وجريمة لذلك ينبغي أن نخجل من
البقاء في ظلامه والعيش في عالم جهل فيه الاعى والاعرس والاصم
وحتى المقعد والمجهز في سبيل احراز القسط الاوفر من التربية الجيدة .

والدماغ أسير لا يفارق سجنه ولا يستطيع ان يخرج الى العالم
الخارجي فهو مركب كل الوكون الى هيبه الحواس الخمس الذين
يساعدونه في جمع ما يلزم من معلومات تأتي معظمها عن طريق العين

تأثير الاستطاعة :

من يأنس في نفسه الاقتدار فهو مقتدر وطالما أنت تضع أمام
نفسك القدرة على تحصيل ما تصبو اليه فانت حاصل عليه ان عاجلا
وان عاجلا .

هن الرجل العاды هو أصرار الاول على تهمية موافقه و اظهار كفايته
وقبول الثاني حالته انى هو فيها .

لو اقدمت على عملك بروح الاستاذ الماهر بدلا من روح العامل
البسيط وانجزت عملك بغيرة وحماس .

لو عزمتم أن تضع كل كفايتكم فى عملكم مهما كان نوعه فانكم
لن تشعروا بعناء وتعب فيه لأن كل شىء متوقف على الروح التى
تنجز بها العمل فالروح المتقدمة تمثلا الانسان نشاطا وغيرة على احقر
الاعمال واما الروح المتقاعسة فتجعل من أقدر الناس عاملا بسيطا فى
أعظم الأعمال وأشرفها .

إن أكر دايك على وجود قوات فعالة فى داخلنا قد لا نعرفها
أبدا هو ذلك الافتدار الغريب وتلك العمولة الباهرة التى يظنها عامة
الناس فى أشد صيقات الحياة - ولولا هذه الضرورة لفضوا الحياة
خاملى الدكر .

قد تنكسر سفينة فى عرض البحر وتسمى الفرصة لمهاجر مسكين
فيصير بطل الساعة ويستلم قيادة قارب النجاة ويصدر الأوامر وهو
رابط الجأش ثابت الجنان كمن له السلطان المطلق بينما يكون الآخرون
قد فقدوا كل شىء حتى المقدرة على التفكير .

وقد يندلع لسان اللبيب فى مستشفى فتصير فتاة حليلة الاسقام
بطلة فى الحال وتنجز عملا لا يشجزه غير بطل جبار .

هل أنت راض بما أنت فيه :

إن صرف الحياة في بيع وشراء الا كاذب وفي خداع الناس .
والانخداع بهم مفسدة لكل عنصر من عناصر الشرف .

إن فيك أيها الشاب الف دليل على أن الخالق لم يأت بك الى هذا
الوجود لأعمال البغي والاحجاف بل لأعمال الحق والانصاف .
فاجر العدل وافعل الصواب وقل الحق وأنت تجد مساعدة من الطبيعة
والشرعية والعلم لأن ادراك الصواب هو الغرض من وجود كل انسان .
عكس ذلك وكل هذه القوات تتألب لقمرك وهزيمتك .

إن في داخلك ميزان تتجه ابرته الى الحق والصواب بتدقيق
أصح وأجزم من اتجاه ابرة الملاح الى نجمة القطب فان كنت
لا تنبها فانك في خطر الانكسار على صخور الجهل والطيش الكاذبة
في بحر الحياة . ان ضميرك هو ميزانك الذي أعطى لك يرم نزولك
في بحار الحياة العظيمة وهو المرشد الوحيد الذي يرشدك الى
ميناء النجاح .

ماذا يحدث للملاح لو رفض أن يسير حسب اتجاه ابرته بحجة عدم
صحة اتجاه البرة على الدوام الى الشمال لو حولها من مكانها فانهجهت
الى اتجاه آخر ثم سار بموجبها ؟ انه ان يصل الى الميناء بسلام .

فاذكر اذا أن قليلا من التأثير مع قليل من القوة ليحول البرة
عن اتجاهها الطبيعي فاحذر لئلا يؤثر الشر أو حب الذات على ميزان
ضميرك . فلا تضعه في سلاسل وقيود بل اتركه حراً لأن الرجل الذي

يعمل على تحويل ابرة ضميره عن اتجاهها الطبيعي أو يبعدها عن
حبيبها الفريزي ويحاول أن يفتح نفسه بوجود أكثر من مقياس
واحد للصواب وأكثر من نجم آخر يركن اليه ويعول عليه ويعزم
أن يتبناه في بعض الأهمال المشكوك فيها فهو غريق جاعل يلقى نفسه
في التهلكة ويوردها موارد الفشل .

كل الناس يحبرون النجاح ولكن قليلين منهم يحبون الأشياء التي
تؤدي اليه .

فلا يحمل بك أيها الانسان أن تختار لنفسك هملا يقرى الصفات
السافلة المنحطة الكائنة في طبيعتك على تمثيل دورها فيتمتع ميلك الى
الكذب والنفاق والغش والمداينة والرياء وحب الذات
والطمع والجشع .

إن هذه الصفات تجرد صاحبها من كل شرف فتساوية بكلب
يخطف ما في يد أخيه أو يتشبه في جسمه كالثور حش المفترس وينقض
عليه انقضاض النسور على الرمم لان بطنه لا تشبع وبده تأخذ ولا
تعطي وقلبه لا يعرف معنى الرحمة وعينه لا ينظر ان إلا للشر والظلام
ونفسه ملأى بهوامل الظلم .

الانسان يحتاج الى شجاعة حتى يرفض أن يعنى ركبة لطرق
مشكوك فيها كالكذب والخداع والغش . ويحتاج أيضا الى قول
الحق حتى لو كان في الانحراف قليلا عن جادة الصواب كسب
عظيم في الماديات .

انه يحتاج أيضا الى شجاعة حتى يأبى قبول الرشوة بينما في
الامكان أن يسبل عليها ستار السكتمان ويخفي أمرها عن كل انسان
انه محتاج الى شجاعة حتى يقف منتصباً مرفوع الوجه مع أن الانحناء
للناس وتقديم تحيات الرياء لهم يوجب لك خيراً وقيلاً .

ويحتاج الى عزم ألا يضع في جيبه قرشاً نجساً أو دنساً قرشاً
يقطر حزن انسان آخر هو في اشد الحاجة اليه قرشاً قد زاد فقر تعيساً
ساذجاً فقراً واعماسة قرشاً كان السبب في اندحار انسان يكسب عيشه
من أشرف وجوهه أو حرمة من نيل قسط من التربية والتهذيب .
هذا هو الغرض من الاخلاق الكريمة والحلال المحمودة هذا هو
معنى الرجولة وغرضها ومظهر قوتها .

الغرض منها التحزب للصواب وللحق ومقاومة الباطل به صرف
النظر عن النتائج .

الى الآن لم يكشف الأمانة بديل . حاول الملايين من الناس
ايجاد بديلاً للأمانة ولكن قد ذهبت مساعيهم ادراج الرياح وهذا
هو السبب في ازدحام السجون بالمجرمين .

لا يستطيع المرء أن يؤمن بنفسه ويعتمد عليها اذا كان شاغلاً
مركزاً مؤسساً على الكذب والبهتان ولا بسا ثياب تستر حقيقة أمام
الناس واذ ذاك يصرخ صوت الناصح الامين في داخله صراخاً يسترعى
الاسماع (وأنت تعرف أنك كتلة من الغش والتداع . وأنت اسمع
الرجل الذي تتظاهر به أمام الناس) .

ان شعور الانسان بأنه يظلم بخلاف ما يبطن يجرده من قواه
ويضعف من أخلاقه وبلاشي احترامه لنفسه وثقته بها .

نحن بالفطرة نعتقد في الاخلاص ونعجب بالناس الذين يقتصرون
للبدء . الذين يتخذون الحق والامانة مركزا لدائرة أعمالهم ليس
من الضروري أن نكون وإياهم على اتفاق انما نحن نعجب بهم لاجل
قوتهم وحسن نواياهم ومصراحة أفكارهم ورسوخ مبادئهم المتينة التي
لن تنزعزع الى الابد .

لا تتبع أيها الانسان الراغب في احراز النجاح أفضل ما فيك
من شرف ورجولة الى رجل خائن لان في هذا ما فيه من الغبن عليك
واعتبر كل من يسمعك شيئا من هذا القليل انه يهينك ويجهف بحقوقك

اعزم على الاتخاذ اجرة عمل تكون فيه أقل من رجل والا تباع
اقتدارك وتربيتك وعزتك ومماراتك واحترام نفسك لانسان يكافك
أن تكذب بالنيابة عنه لا في كتابة ما ولا في مبيع بضاعة أو سلعة
مقشوشة ولا في أي عمل نظير راتب أو مبلغ تاخذه .

اعزم على أن تقتصر للبدء مهما كان عملك وليكن شهادك
من الآن أن تحترم الشخص لرأيه لا أن تهترم رأيه بسخطه واعزم على
ألا تكون محاميا أو طبيبا أو غير ذلك من المناصب الرفيعة لحسب بل أن
تكون رجلا في كل حياتك هذه من أولها الى آخرها .

أسعید أنت ؟

خلق الانسان ليكون أمينا وليتبع مناهج الصواب والعزة . هذا هو
قصد الله في خلق الانسان فمتى أفسد الانسان طبيعته باظهار الغش
والغدر والخيانة لا يستطيع أن يكون سعيدا لان جوهر السعادة
وخالصتها في الامانة والاخلاص والصدق فمن طالب السعادة الحقيقية
لنفسه ولقرينه وجب عليه أن يكون طاهرا مستقيما خالصا ولكن متى
حاد عن الصواب قيد شجرة اتخذت السعادة لنفسها أجنحة وطارت .

ياله من منظر مؤلم يفتت الاكباد أن ترى البشر يسعون وراء
المال سعيا متواصلا محاولين استخراج السعادة والسرور منه نعم أنه
يظنر أنه حبيب لبيته يأتي مصحوبا بالقلق المستمر وفي هذا يجهلون
أن ضالتهم المنشودة ان لم توجد في داخلهم فهي غير موجودة في
مكان آخر على سطح الارض .

دهم يجوبون القفار وبطوفون الوديان ويتساقون قمم الجبال
الشامخة في طلبها ولكنهم لا يرجعون إلا فاشلين لان السعادة ليست
إلا فيهم ومعهم .

ان السعادة صورة ذهنية وحالة من حالات العقل . هي مبدأ اولي
ومن لا يفهم المبدأ فلا يستطيع ان يسعد .

ان مصدر كل شقاء وبؤس في العالم وأصل كل جريمة تقشعر
لوطها الابدان هو فشل البشر في فهم المبدأ الذي يقول صريحاً ان

يكون الانسان سعيدا حتى يتعهد بأفضل ما فيه - حتى يتعهد بالوحيته
ويخضع لأوامرها ويضاع لرغائبها ويدوس حيوانيته ويخضع ليرها
لئلا تقذفه الى سدير العقاب والبؤس فلا غرو اذا قلنا ان الانسان لا
يكون سعيدا وهو يحاول ان يوفق بين حياته وبين امياله الحيوانية
لان إله الخير الساكن فيه هو وحده الذي يستطيع أن يهديره سعيها
وكلنا يشعر بوجود رجل آخر في داخلنا وان هناك رسولا سماوية
دأبه السكوت يرافقتنا في الحياة من أولها الى آخرها هو تلك الذات
الفضلى التى تنطق من أعماق طبيعتنا وتصادق كل عمل صواب
وترناح اليه ونذم كل عمل خطأ وتدينه .

لقد حاول رجال ونساء كثيرين فى كل العصور إسقاط هذا
الناصح الامين وشراء استحقاقه واخماد هذا الصوت بسرعة الانفعال
والتأثير المصعب واخفائه تحت لثام الفساد والذيلة إما بالادمان
على الخمر أو بتماطي العقاقير المخدرة ولكن ذهبت مساعيهم فى هذا
السييل أدراج الرياح ولم يكن لهم لم يكثروا بنصحته وأهملوا أوامره
وفواهم به وجرؤا كل وسيلة فى أمكانهم للتخلص من توبيخاته الشديدة
وتخفيفاته المرة التى تصلى كل من يهدير هذفا لسهامه عذابا اليما اذا انى
عملا معيبا وعمدا الى الاجماف بحقوق الآخرين والحاق الضرر بعباد الله .

ولكن مهما أفرطوا فى اللغو وتمادوا فى الخلاعة ورشفوا من
الكس فليس فى استطاعتهم اخماد صوته الذى يكاد يمزق طبول اذانهم
لانه لا يكف عن استحقاق الجليل من أعمالنا واستحقاق الفساد منها

أن مسألة مسألتنا هي أن نملا كل يوم من أوله الى اخره بضياء
الشمس الجليل والمضيئة الصريحة الواضحة التي لا يقع للريبة عليهم اظل
والافكار العالية الدالة على الرقي حتى لا يبقى حينئذ تشغله التعماسة والبؤس
والشقاه .

ان الافضل الصغير والالفاظ العذبة وأعمال البر والاحسان
والبشاشة في الوجود والتشجيع على أعمال الخير وانجاز الواجبات
بإمانة وخدمة الناس المجردة من حب الذات والعطف على الذين
عضهم الزمان وحب الناس على الاطلاق ومما ملتهم بالحسنى وأمثال
هذه الامور التي تعتبرها من البساطة هي الزم المستلزمات في بيان
السعادة . وان المطمع المتجاوز حد الاعتدال والرغبة في التقدم على
الآخرين والجنون في حب الظهور والكاذب وما الى ذلك من أمور
الجهل والطيشة هي الاغذية التي تفتت بها ميكروبات حب الذات .

ان الامانة في العمل والاخلاص في المبدأ والصراحة في القول
وبذل أقصى الجهد والرغبة الشديدة في استبدال أشواك الحياة
بأزهارها والتفاني في اصلاح الانسانية وتحسين حال أفرادها واسعادهم
هي أفضل العلاجات وأنجحها في ازالة التعماسة والبؤس من العالم وفي
ايجاد السعادة الحقيقية .

قراءة أفكار الناس :

ان الاقتدار على قراءة أفكار الناس ومعرفة ما يضررون لاول
وهلة هو أكبر رأس مال للاعمال التجارية العظيمة - فاجتهد أن

تحرزه فالحكمة في قراءة طبيعة البشر في نظر المحامي لا تقل قيمة من معرفة القضاة وفي نظر الطبيب لا تقل عن معرفة الطب ان الوجه والعين والاخلاق والاشارات والحركات وماشا كامـ لغة رمزية لو اتاح لنا الحظ تفسير معانيها لتكنا من معرفة أخلاق ومكنونات الرجال بمجرد النظر . فاحيانا نظرة واحدة من العين على غير علم من الانسان تكشف لك عما في نفسه وتعلم لك أسراراً لا يحسر اللسان على النطق بها .

الشجرة :

الشجرة خطرة تعرضنا في طريق النجاح وحب الناس للشجرة على نوعين : النوع الاول منصرف الى جمع المال والثاني متجه نحو تخفيف أثقال الحياة فبعض من الناس يصوبون كل اقتدارهم وتربيتهم وصحتهم وهمتهم نحو النوع الاول (جمع المال) ويسمون النتيجة بها حاداً وآخرون يصوبون كل هذا نحو النوع الثاني (الاخلاق والافادة والنفع والمساعدة) وبعض الاحيان يقول الناس عنهم ان سعادتهم قد طاشت بيد أن التاريخ يقول عنهم أنهم ناجحون .

إن الاسم الذي لم يقترب منه العار هو أثنى ما في الوجود وكل كنوز الارض لا تعادل ثمنه .

فاحذر أيها الانسان لئلا تلوث إسمك بما يشينه . واعلم أن الشجرة الخالدة لا ينالها إلا الرجل الكامل في كل شيء .

الصدفة والحظ :

قالو أن الحظ يدخل بعض القوارب في المرفأ دون أن يدبر
دقتها لإنسان . .

دع الناس يقولون ما يريدون عن عدم وجود الحظ والبخت
لكن ينبغي علينا كلنا أن نسلّم بأن الأشياء التي ليس للإنسان عليها
سلطان كالحوادث غير المتوقعة ومجريات الحياة التي لا يعمل لها حساب
لأنها لم تخطر على بال كثير ما تحدث تغييرا في مصير حياتهم .

إن المراكز المهمة لا تأتي دائما عن استحقاق أو نتيجة مجهود
الإنسان المتجهة مباشرة نحو غاية مخصوصة ، فتارة يصبح رجلا
مستكينا من طبقة المال وارثا لثروة بموت أحد الأقارب وأخرى
تصبح فتاة فقيرة مالكة لثروة كبيرة وتشغل مركزا ساميا بزواجها
من رجل غني له مقام رفيع في المجتمع الانساني .

والحقيقة أن الحظ في الشؤون الانسانية يكاد لا يكون شيئا ولا
موجودا إلا أنها كلمة تلامهم هوى أهل الكسل ، والحظ بمعناه الحقيقي
هو أحكام توجيه القلب نحو المقاصد فإذا رأيت عند أحد
زيادة علم أو فضيلة وأحيانا ثروة فاحكم فورا بأن علة تفوقه هي
قوة إرادته .

علينا إذا أن نعرف أن الانسان لا بد أن يتحصل على المحل
المناسب في الوقت المناسب ولا بد من وجود الفرصة التي يتجلى فيها

الحظ بأحسن مظهره وكثيرا ما نشاهد هؤلاء الذين يترقون الى مرا كز
لا يحصلون عليها بجدارة واستحقاق وربما يسكون السبب في ترقيةهم
حادثه أو مرض أو موت أحد الناس المترابين في المقاصب العالية .

ولكن مع هذا كله من هو هذا الجاهل الذي يقول أن الانسان
الغربة المصنف أو النجاح الحقيقي هو نتيجة الحظ وغرائب الاتفاق .

ان الحظ ليس الطريق الذي حدده الله للنجاح متى قارنا العدد
القليل من المدينين بثروتهم أو مرا كزهم للمصنفه أو الحظ بذلك
العدد العظيم من الذين يجهادون جهاد الابطال في احراز غاياتهم

ان الناس الذين يتكلمون على الحظ لا يظنون أن الاستعداد
التمام للنجاح يستحق شيئا من العناء وهم لا يرغبون في دفع ثمنه المقادير
بل يتوقعون المساومات ويفتخرون على طريق أقرب للنجاح .

إننا نسمع كثيرا عن حظ هذا وحظ ذاك لكن ماذا ينفع
وماذا يفيد لو لم يكن هذا وذاك مستعدين لانتهاز الفرصة عند مجيئها
ولو لم يرنا ويعدا انفسهما لانتهازها واستخدامها .

ولم يوجد الانسان الذي بلغ شأننا يذكر إلا بعد ان حذف من
قاموس مفرداته مثل هذه الالفاظ « السعد والنحس » ومن قواعد حياته
الفاظ « مستحيل وفلسفة لا أقدر » وقد لا توجد كلمة يساء استعمالها
ويشط فيها أكثر من كلمة حظ .

إن الباب الذي أمامك قد يكون مغلقا لأنك أنت الذي

أغلقته — أغلقته بافتخارك إلى تمرين وتدريب وإلى بمدهمة ونشاط
واقدام وربما كنت تنتظرا أن يفتح لك الحظ فأنى غيرك من رجال
العزم وسبقك في فتحه بنفسه إذ أن القوة تميل إلى الرجل الذي
يعرف كيف يستخدم الظروف ولقد صدق من قال .

وإن الحظ كمد البحر والرجل القوى يسير معه لو كان متجها نحو
المرفأ الذي يقصده ويصير ضده لو كان مما كسأله في الاتجاه .

قال نابليون : أن الله دائماً في جانب الكتائب القوية . أنه دائماً
في جانب أكثر الناس استعداداً وأمضاهم عزيمه وأكثرهم سهره
وأفضاهم تدريباً . فلو لمعنا أعمال السواد الأعظم من الناس المعروفين
بأنهم من أصحاب الحظ لوجدنا أن جذور نجاحهم متوغلة في الماضي
وقد تغذت من معارك كثيرة دارت رحاها حبا في الانتصار على الفقر
وكسر شوكتهم ويحتمل أن نجد الرجل (صاحب الحظ) مفكر
دقيق لا تصيب سهام أفكاره الحقائق في غير أكبادها وإن قوته المميزة
أرقى بكثير من غيره ويميل كل شيء على نظام ثابت وترتيب وطيد
الاركان وإن عقله متجه لغرض مخصوص ويوفق بين أهماله وبين
أغراضه ويفكر أفكاراً معقولة تفعل كثيراً في سامعيها وهذا
مخلاف الرجل (سيء الحظ) . فالحياة ليست لعبة من ألعاب الصدق
والخالق عز وجل لم يضعنا في مكان نكون فيه العوبة للظروف
وتحت رحمة القضا . والقدر الذي لا قلب له فيرحمنا دون النظر إلى
أعمالنا وجهودنا .

الفصل الرابع

قيادة النفس

قيادة النفس وكبح الأهواء :

يقول ابن نارد بن دى سان بيير : القوة والجمال الأدبى عند الجنسين .

والزواج غاية المحبة وتاجها فعليك ايها الشاب يامن تطالب حياة ناجحة أن تدخر عفتك وتصونها الى يوم زواجك أى تكبح جماح الشهوات الوضعية بالامتناع عن الاعمال القبيحة .

وسن البلوغ هو وقت غليان الشهوات وثوراتها - وقت الحرب العنيفة المستمرة لذلك كان أخطر طور فى حياة الشباب لذلك يجب على الشاب الاستغانة بإرادة وثابة وحواس سليمة لاقتناعها وقمعها والعفة فخر جماعة التاجحين المنتهزين وأن كان العالم يمز اكثافه لها استخفافا إلا أن هذا لا يزيدها إلا مجدا واستحقاقا .

أما المشاهد القبيحة والصور الخائبة والروايات والمكتوبات المثيرة كل ذلك يزيد هياج الحواس ويجعل تلك الفضيلة صعبة المنال فالشاب ينبغي أن يردع شبابه لا فى تبذير مدخره من القوة بالافراط المنجمل أو بأعمال الندالة بل فى التأهب بالعفة الطاهرة لاتمام العمل الانساني الالهم .

أما المخالفات الفجورية لا يمكنها تحويله عما وطن النفس عليه من
تقوى أمياله .

واضطراب جسده لا ينبغي أن يحزنه ويغمره بل يسره من حيث
أنه دلالة كبيرة على رجولته .

قال أحدهم : بعث شاب في سن العشرين إلى أبيه رسالة جميلة
يقول فيها : الطيبة ترفع عندي صوتها كما ترفعه عند كل أحد وربما
بصوت أقوى من صوتها عند بدوي غليظ غير أنه يتنعم على أن
اسمك مسلك أبناء جنسي من الشبان أولاً لأن لي روحاً دينياً صادقاً
ولأن لي من الشرف والمحبة للقريب ما لا اسمك معه أن أخدع أحدي
الخلائق البارة وثانياً لأن صديقي عزيزة على حد أني لا أجاذفها
في محبة ملتبسة ولذلك أمنتطبع أن أقول أمام الله أني إلى هذا اليوم لا
أعرف لنفسي سقطاً أو بخماً عليها .

وكل شاب لا يتحمل البتة بأمرأة شريرة فقد بدأ يحترم نفسه لأن
الاخلاق الرفيعة لا تملك الاتجاه إلى شخص غير أهل بالاكرام
والاعتبار وقد أجمع الناس على احتقار اللواتي يسلبن أنفسهن وأجسادهن
لتجارة الشهادة والفجور ويقول العلامة لبجوفه أنه لا يؤذي الشاب
نفسه إذا انصرف عن طريق العفة بل يؤذي ابنه وبنى أبه ووطنه
والتسلط على النفس والحكم على أهوائها مع أنه يكون صعباً شاقاً
في أول الأمر لا يلبث أن يهون شيئاً فشيئاً فيصبح ينهزح سرور
ولا ينضب وكان المرء ونفسه أثان يحاول كل منها أن يملك الآخر
محكمه فمن غلب نفسه وحكمها هتة بنصر مبين وفوز عظيم .

ويا ويح من كانت نفسه جوعا ترميه من أهوائها في كل هزق وواد أو حرونا لا تقدم به نحو مطالب أو مراد . وما الملك إلا من ملك النفس فكان الفخر تاجه والعزة عرشه والشرف صولجانه وكم من ملك يستبد بأمور رعيته تحكما وتسلطا وهو لنفسه أسير ذليل يقوم ويقعد طوع أهوائها وشهواتها وقد قال **بإيكون** . الامراء كالنجوم علاء وليكنهم مثلها أيضا لا يعرفون الراحة ولا الساكون وقال اللورد افيرى في كتابه مسرات الحياة : لو كان تحت المرء من نفس وممد ونصيبه من حياة وموت تبعا لربه أو خسارته في لعبة الشطرنج مثلا . أفلا يكون من العماوة والتفريط لويلين اذ ذاك أن يغفل الآباء تعاليم أولادهم اصول تلك اللعبة وقواعدها أو ما كنا نسمددهم اليوم نحو الحكومة التي تترك النشأ يشب ويكبر على جمل الفرق بين كل قطعة والاخرى في اللعبة .

وما هذا يا قوم إلا فرض اريد به تقريب حقيقة كبيرة من افهامكم على سبيل التشبيه فان الحياة تشبه هذه اللعبة انما يكون هو الرقعة وحواذئها وغرائبه هي القطع ونظامه ونواميسه هي الاصول والقواعد وكل فرد متلاعب ضروري . ويلعبه مهندس الكون الاعظم الخفي عن الابصار . فهو يلعبنا دائما بحق وانصاف وحاشا له ان يقتترف غشا أو يخل بنظام . . ولكنه كذلك لا يتجاوز عن غلطائنا وهفواتنا التي سببها الجهل والاهمال . فيا سمادة الرابع ويا لشقاء الخامس ! ! !

القضاء :

ولا ينحصر النجاح في مسألة العفة فان أمام الانسان فضائل غير الطهارة ينبغي أن يشتبهها ويحصلها وشهوات غير الشهوة اللحمية ينبغي أن يخلبها ويؤدها فالغضب والحسد والفظاظة والانانية والكبرياء والشراهة وسائر الشهوات والاميال البهيمية التي تطالب أغراضها ينبغي أن يلجمها العقل ويضعها ضمن حدود يقيّمها لها .

والقضاء تستطيع تنظيم جميع الاميال أما الكبرياء والفيرة والحسد تبعث أحيانا على أعمال غير صائبة فمن تفسد حكم العقل وتضرب القاب بالجفاف وتولد عنده الطمع الذي لا يحمله أحد .

وليعلم كل منا ان الجهاد الذي يتطلبه الجندح شاق على الجميع لكنه أشق على من اوسنتهم الافعال المناقضة والمعاداة الرديئة - غير انه الشا - الذي صرع مقهورا بوثبة الحواس لا ينبغي له وان تجمدت الوثبة بياس من القيام . فاذا عرف انه يسمى بقوة في اثر الحياة الفضلى فانه لا محالة حاصل على الظفر بمعوة الله - مثله في ذلك مثل جيش لم يفقد روحه المعنوية فظل يجاهد ويجاهد رغم الانكسارات التي قابله حتى انتصر أخيراً .

وهناك وسائل أخرى تساعد على الوصول الى درجات النجاح منها الرياضة الجسدية وحفظ قواعد الصحة التي هي كالثروة المكتسبة وتحفظ وتزاد واخصها الإمتناع عن المسكرات والكحول والاعتدال في الماكل والنوم والنظافة الجسدية قال مونتسكيه : نظافة الجسد صورة نقاوة النفس والنظافة تستميل المحبة .

وللدين مهنات اقوى بكثير من المهنات الطبيعية على اختلافها
والايمان وهو السلسلة القوية لكل دين هو افضل الوسائط الواقية
والقوية الى الغاية والخلاصة ان السلوك على حسب الدين يلائم السلوك
على حسب العقل ويرشده ويمنه ويكمله ويبلغه الى اعلى الرتب .
اما افضل الرياضة الجسدية هو المشى المعتدل وليس لهذا النوع
تطير في حفظ الصبوة وانتظام الهضم . واما الركض فيزيد العضل
فشاطا والتنفس اتساعا والنهض اسرعا . ويستلزم المجمود اخراج
الفرق وله فوائد اخرى كثيرة في اخراج المواد البولية التى ينشأ عن
هدم افرازها التسمم أحيانا .

اما المسكرات والكحول نجر ورائها كثرة الاوجاع والاعمال
والتماسات فاذا كانت مسكرة واحدة تشوش التوازن البدنى بضعة
ايام وتنقص من القدرة على العمل فكم يؤذى الاعضاء الانكباب
على شرب الكحول .

النظام :

وعلى المرء أن يبحث عن أحوال نفسه ليسكون على بصيرة من
أمره وخير مواعيد هذا البحث كما يقرها معنى أكثرية ساحقة هو
المساء . فالشاب الذى يرغب أن يكون ناجحاً هو الذى يصرف حصّة
من الوقت فى النظر إلى ساعاته الحالية ويدى نفسه بلا شفقة ويبحث
عن غامظه واغفاله واهماله لهما ناشئان عن ضعف ضبطه الأهواء
أو عن افراطه فى الاصغاء لأغواء الغير . ثم يتبصر النتائج الوخيمة

التي تتولد عن تجديد غاطة ويأخذ على نفسه أن يصلح في غده ما فيه
من أعمال يومه ويمقد القلب على أن يدون لنفسه في صفحة كل يوم
نجاحا أدبيا أو عقليا أو ماديا وإلا لا غناظ من نفسه وشكا أسرافه
بالمواهب الطبيعية وبرأس ماله الثمين الذي هو الوقت .

ومن توهم أن الفحص اليومي لا يليق برجل العصر الحديث فقد
ركب متن الشطط لأن الكثير من نجحوا أدلو وبرهنوا على صحة
هذه التجربة التي اعتبروها مفتاح الكمال .

وقد فطن الوثنيون إلى هذا المفتاح فكان فيثاغورس يوجب على
تلاميذه أن يفحصوا ضمائرهم صباحا ومساء بالاسئلة التالية . ماذا
صنعت ؟ وكيف صنعت ؟ وماذا أهملت ؟ وكان سينكا يأمر بان
يوجه المرء إلى نفسه الاسئلة الثلاثة التالية ومن أى عيب أصاحت
نفسى اليوم ؟ وأية رزية قاتلت ؟ وأى نجاح أحرزت ؟

وفوق هذا وذاك القدوات الصالحة التي هي أقوى في الغالب من
الافيكار لذلك كان اختيار الرفاق وأهل العلاقات أمر مهم في حياتنا
وله شأنه في تهذيب الارادة .

فالواجب علينا إذا اختيار الشبان الممثلين مروءة واقداما ومحبة
للمعمل وحفظا على الواجب في عشرتنا . فإذا كنت تختار لك معلما
للرياضة أو للموسيقى أو للحساب أو للغات أو لغيره فلماذا لا تختار لك
معلما لتقوية ارادتك .

وأى رجل له كفاءة التبحر في علوم القلب البشرى والشرائع

الادبية ليمملك مباشرة على الوجه الافضل ويشجع الجهود إذا نالها
الفتور أو الجھوط . أليس المعلم موجود داخلك وكما سبق وأسلفنا
الذكر أنه هو بعينه الضمير .

والملايسات والظروف العارضة والوسائط التي مر ذكرها وان
كانت ليست كلها في مرتبة واحدة من حيث الاهمية الا أنها جميعها
تدھو الى ضبط النفس أو المقاومة أو الثبات في النظام . وان سلوكك
هذا للطريق يصير صاحبه مالك لارادة قوية يستطيع بها الارتقاء الى
ما فوق مرتبة العامة بكثير .

السمي في طريق الصلاح :

يقول غونود : الانسان ينبغي أمام النبوغ ولا يھنو الا
أمام الصلاح .

وحياتنا الحاضرة تقضي دون شك الى ارادة قوية فلا ينبغي ان
يباغ بك التصلب حد المحور من ذهنك ان لك قلبا وانك تصير قاسيا
خفنا عاريا من الرأفة .

والخوف كله ان عكفت على تهذيب الارادة بكل شدة يسمى
عكوفك خطراً ما كنت تتوخاه فكان ان يرفعك ويعظم قدرك بقدر
في نفسك ما يسميه نياتش الفيلسوف الالماني ارادة القوة وهي شهوة
متصلة وجهتها التسلط والتكبر فتجعلك قاسيا لا ترأف بضعيف بل
تطيب نفسك صورة وحشية بارئ تفتح لك طريقا وانت تدوس
وتسحق الآخرين ويقول نياتش لا بناء وطنه في كتاب لهدھيروا قساقه

وهذا مبدأ لا يستميل الانسانية وواضح في عنوانه المناقضة
لتوقان الانسان الى القسوة العاربه من كل رحمة .

والرجل القاس القلب ينفر الناس منه طبعاً ويخشون قربه
لخشونته والعكس فريقي القلب يلتف الجميع حوله لطيبته وتواضع قلبه .
قال بوسيه : اول ما كون الله قلب الانسان جعل الرأفة فيه علامة
لليد الالهية التي برز منها .

وقال لا كوردور : الرأفة اشبه الاشياء بالله وأكثرها اخماداً
لمسخط الانسان فلا بالمجد ولا بالمحبة يقاس ارتفاع النفس بل بالرأفة .
ولما كان القلب المصدر الاول للخير فقد لقبه العلماء الاخلاقيةون بانه
اجل صور العقل لانه يهيئ الموضوع ويشير في داخله زيادة الرأفة والسخاء

الطموح وطلب العلا :

اذا كانت الشهرة آخر ما تهتلى به النفوس المكبرة فالطمع اول
ما يحل بها من المرض والضعف اما المطامع اذا نبئت غاية وقصدت
كانت عوناً كبيراً على اتيان المسكارم والمحامد وقد قال شيشرون
اقوموا دلو لم أكن تشرب منذ الصغر حب المجد والفضيلة وتمسك بها
قلبي ونفسي جميعاً لما كنتم تروني اليوم معرضاً هذا الجسم لكل خطر
وشهامة غير هياب ولا وجل . ولما كنتم ابذل النفس والنفيس فداء
قومي وأبناء وطني وما دأبني هذا إلا دأب من أحب الفضيلة والمجد
رحمته الشاعر إذ يقول :

من طلب المولى من غير كد . أضاع العمر في طلب المحال
فالمجد ثم العبد والعلاء نهاية حسن البلاء .

على أن النفس لا تكف فوق طاقتها لا تهرب اندحارها الا انتصار
بعينه ورب غالب يكون بالحقيقة مغلوبا . والنصر حليف الاقدام
وحسن البلاء ومهما حبطت مساعينا يجب الانياأس او نفقد الرجاء
لانه كم من مجاهد تعانده الايام وتمنعه عن المرام غير ان حقيقة الامر
كله هو ان : (كل من جد وجد . فوزا والنجاح ورد) فمن أراد تحقيق
النجاح فليشمر عن ساق الكد والاجتهاد ويجد في السعى اليه منتزعا
كل فرصة تقابله باذلا خيرا ما في وسمه وطاقتها فان هذه طريقة مثلى
للنجاح والفلاح ويجب الا نحتقرن الفرص واهمية اغتنامها عند
منوحتها لان الفرصة ان ادبرت فان تقبل بل هي (ان فاتت ماتت)

وقد ورد في التاريخ القديم ان بالمدن اليونانية كان تمثال مكتوب
عليه حديث شهري بين أحد المارة وبينه تشرح مغزى اقامة التمثال
واليك المحادثة .

« ما اسمك أيها التمثال ؟ »

« يدعونني الفرصة »

« ولماذا انت واقف على أطراف اصابعك ؟ »

« لارى . انى لا ابقى الا دقيقة واحدة »

« وما هى الاجنحة التى على قدميك »

« لارى كيف أمر بسرعه »

« ولكن لماذا هذا الشعر الطويل على جبهتك ؟ »

« لكي يقبض على الناس حينما يرونى »

« اذا ما سبب صلع رأسك من الخلف ؟ »

« لارى اننى إذا مررت مرة فلا يمكن القبض على »

« فإذا حسبنا لما فرصة فلنعمل الخير للجميع »

ومن اراد الوصول فى جهاده الى هدفه فليتقدم اذا حق الاقدام
لا يثنيه طعن الريح ولا ضرب السهام - فان الجراح التى تصيب
الباسل المقدام - ليمنيه عنما اقدامه فتكاد تكون عديمة الآلام . على
أنه قبل التحرير بالنفس أن يتحقق المخاطر وينظر الى المطمع الذى
يطمع فيه والغاية التى يرمى اليها وهما جديران بمخاطراته وتفانيه .
حتى إذا الفاهما كذلك حق له بل لزمه أن يدفع الى الامام ناصيه
ما ورائه وما حوله .

والاسكندر مثال الطامع لم يكن همه شئ سوى الغلب والانتصار
حتى أنه كان يغار من أبيه ولا يفرح كثيرا بظفائره وفتوحاته ظن
منه أنه إذا تم لوالده تدوين الممالك فى حياته مات وتركه محروما لذته
الكفاح والتغلب بسيفه وذراعه .

أما الشجرة فهى نوعان محدودة ومذهومة فمن الناس من يذبح
صيته فى الخافقين لهربة أتاها أو لمظلة أولاهها ومنهم من يعرفون

ويخلدون بفضائلهم وطيب آثارهم وشتان ما بين الفريدين . لانه خير
للواحد ان يعيش مجهول الاسم أو بلا اسم بالكلية من اشتهاره
بالقبح والمنكر من الصفات والقبليات .

وإذا تأملت صفحات التاريخ وجدت الملوك والقواد يذكرون
ويوصفون بموا غاليين أم مغلوبين وراحمين أم خاسرين .

أما إذا نظرنا بعين الحق والانصاف الى كل من الاسكندر
ونايليون مثلاً لم يسمنا إلا الاعجاب بالرجلين لبأسهما وشدهما على
أنما نأسف لهما ونشاط صرفاً في غير وجوههما . فأين ملك
الاسكندر اليوم ؟ وكذلك ناليون لم يترك فرنسا الا أضعف وأفقر
ما كانت عليه قبل زعامته وقيادته فلم يكن مجده الا كالدخان الذي
كان يتصاعد من أفواه بنادقه ومدافعه .

أما المتفادون في خدمة العدل والانسانية فانهم أصدق
شهرة وأخلد ذكراً . ونذكر في هذا المقام ان السياسة والقواد المعظم
يشتهرون وينتشر صيتهم في كل فج وصوب طالما هم احياء يرزقون .

أما الشعراء والفنان والفيلسوف فحياتهم بموتهم وشهرتهم أطول
مدى من سواهم . وقد زعم وردسورث أنه انما تقام النصب والنماثيل
لأرباب السياسة والحكام لانهم أقرب الى النسيان من غيرهم من أهل
الذكر . أما الشعراء فانهم وان ماتوا ليحيون في دواوينهم وآثارهم
وعندى ان غزاة العالم وفانحى بلدانه الحقيقية انما هم اولو الالباب

لا رجال الطمان والضراب . فأين اسكندر الاكبر وأمثاله من
كنفوشيوس وأرسطو طاليس وأفلاطون أصحاب المذاهب العلمية
والفلسفية الخالدة .

المحبة .

المحبة صديقة المرء في جميع أدوار حياته فهي في الطفولة والمسبوبة
(محبة الابوين) وفي الرجولة (محبة الزوجة) وفي الشيخوخة (محبة
البنين) هذا محبة الاخوة والاخوات والاقارب والاصدقاء .

أن المحبة التي تؤول الى الزواج هي موسيقى الحياة وجمالها السمارى
ذكر أفلاطون في آثاره أن :

« الحب هو الباعث الوحيد على التفانى والتضحية بالنفس فدى
لاحباها ولذلك قدمت الستس نفسها للموت والهلاك فداء لزوجها
الذى لم يمد له أحد سواها ولقد كان حينئذ أبوه وأمه حيين يرزقان
ولكن محبتها فاقت محبتهم وانزلة الغرباء . وقامت هي
نفسها بغرض الاخلاص له والخيرة عليه فكتمت لها حسنه عظمى
وفضيلة كبرى وكان من ثوابها أن ميزتها السما . بعد موتها بحق العودة
الى الارض تكرما وتشريفا فان فعلها لم يكن زهيدا طفيفا »

وقال أغاثون أن : الحب علة الحركة فى النفس وهو مصدر اللطف
واس الصداقة وهو عدو الخشونة ومصلح المداورة بل هو فرح الصالح
وعجب الحكيم وبهجة الالهة يغليه ذوره ويتطلبه معدومه .

كيف لا وهو أب الرقة والرفاهية والرغبة والولوع والدمائة
واللياقة وابن الصالحات وعدو الطالحات بل هو مجد الآله وفخر
الناس وقائد الانام ودليلهم الامين »

أما أصل هذه العاطفة وتاريخ تولدها في القلوب مما شغل العقول
والالجاب وطار الفلاسفة فيه حيرتهم في أصل الشر وماهية

بعد خداعة حواء أخذ الواحد يسمى في طلب الآخر ليانقيصا
ويجتمعا فالى ذلك القدم يرجع عهد تطلب الفرد الآخر وحب الاجتماع
لان الفرد وحده ليس الا جانبا ناقصا وحق كل ناقص ان يطلب الكمال
واذا ما وجد القسم الواحد قسمه الآخر امتزج الزوج وهما رتعا با
ولم يعد يطبق الواحد عن الثاني ابتعادا فيسيران في سبيل الحياة يدا
بيد وجنبا الى جنب بدون أن يستطيعا تفسيرا لذلك التعلق الشديد
لان الشوق الذي يشمران به لا يظهر كأنه شوق المحبين بل كمنزعة في
احماق النفس تميل بها هذا الميل ولا يعلمان ماهى ... ومهما يكن من
ذلك فان في القلب غريزة طبيعية تميل به لاول وهلة الى الشخص او
هذه وقلبا محتاج ميله الى تعديل او حكمة الى نقض وابرار وما ذلك
الا لان الحب فطرة .

والحب مقرب الابعاد ولا شأن له بالمسكان أو الزمان فهو موجود
في كل زمان ومكان . قال فـسـكـتـور كـوزن « الخيالى يعوزه الحقيقى
ليكون حيا ، والحقيقى يعوزه الخيالى ليكون جميلا فالانسان صنوان
لا يفرقا اذ كل منهما تنمة للآخر . »

وقال ايضا . ما الحقيقى والصالح والجميل الا صور ومظاهر من غير المحدود واننا فى حبنا للحقيقة والفضيلة والجمال لمحبون عابدون لذلك الوجود الذى لا حد ولا نهاية له فحبة غير المحدود متضمنة فى محبة مظهره .

وحيث ان الحب له قيمة فى ترقية وارهاف حس الانسان السائر فى طريق النجاح فلا مانع من ذكر بعض اقوال شعراء العصر الحاضر فن اقوالهم « ان الحياة بغير الحب كشجرة بغير ازهار ولا اثمار والحب بغير الجمال كازهار بغير عطر واثمار بغير بذور . فالحياة والحب والجمال ثلاثة اقانيم فى ذات واحد مستقلة مطابقة لا تقبل التفسير والانفصال . الحب معرفة علوية تنير بصائرنا فترى الاشياء كما يراها الاله . وهو شعاع وهاج ينبعث من أحماق الذات الحساسة ويشير جنباتها فترى العالم موكبا سائرا فى مروج خضراء والحياة حلما جميلا قائما بين اليقظة والنوم . الحب بقضة تتناول الموت والحياة ويبتدع منهما حلما أغرب من الحياة وأعمق من الموت . وهو كلمة من نور كتيبتها يد من نور على صحيفة من نور . »

اكرام الوالدين :

من لا يحب والديه يصعب عليه الارتقاء الى درجة عالية من الاخلاق .

والبيت هو المدرسة الاولى والفضلى وهذا يتفق تماما ونداء علماء التربية بضرورة الاهتمام باصلاح البيت ومحبة ألا يفوت كل منة

وهو في طريق النجاح ما عاناه أبوه وقاسته أمه من هموم واسفار
واوجاع وغمرم ومن نسيان أنفسهما مرات كثيرة ليمتاعا بالرغد ويمدا
إله مستقبلا رغيدا . يجب أن يتأمل جهاد وأتماب أبيه المتواصلة
المنزلة عن الفرض والانتفاع . ذلك الحنان الذي لا شيء في الطبيعة
يمثله . يجب أن يقرر أنه عاجز عن مكافأتهما حتى أن جهدا في سبيل
ذلك طولا الحياة . والإنسان الصالح يحب والديه في كل سن وحال
ويلقاهما بأدلة الاجلال والخضوع كل حين لأنهما أعطياه الحياة .
وإذا أصاب سعادة وخصيا ونجاح أمور عزا الى تربيتهما وبركتهما
ما نال من الفوز وصنع الخير .

من البيت يتعلم الفرد كل الحلال المطلوبة تقريبا ففيها يتعلم الاولاد
من أقرب الموارد الاتحاد والتعاون والتضامن في المنافع والمكرامة
والفرد يمكنه ألا يحول حريته الشرعية الى مصيبة وتمرد وإذا علم أن
أبويه على خطأ فلا يقاومهما بخشونة ولا يجادلها بشدة وعنف

هناك أفراد لا يكتبون بأن يعاملوا والديهم كما أمثال لهم فيقفون
تلقاهم موقف الرئيس لقضاء المرؤوس مزدهين بمصارفهم أو بسعة
حاجهم أو برفعة مقامهم وهذا عين الازدراء القبيح الممقوت .

ان باستور العالم الشهير يعطى لنا أجمل قدوة وذلك أنه شهد
تدشين صحيفة نذكرية لمواطنيه فقال : (أي أبي وأمي أي فقيدى
العزيرين . يامن عشتما عيش التواضع في هذا البيت الصغير . منكما
قد أخذت كل شيء ولكما أنا مديون بكل شيء . فلتكرونا مباركين
يا والدى العزيزين لأجل ما كنتماه) .

ثم قال أيضا :

أيها الأم الباسلة لقد نقلت حماستك الى فان كنت قد جمعت بين
عظمة العلم وعظمة تقدير الوطن فذلك لأنني امتثلت من العواطف
التي رويتها بها . وأنت يا أبي العزيز الذي كانت حياته شاقه كهمته
لقد أريتني ما يستطيعه الصبر مقرونا بالجهد الطويل - لك الفضل كل
الفضل فيما لي من التجلد تجاه العمل اليومي .

ويقول آخر من شعراء العصر عن الأم . أمي ! ان أعذب
لفظة في الشفاء هي لفظة (الأم) وأجمل مناداة في الوجود هي
« يا أمي ! » فالأم هي العزاء في الحزن والرجاء في اليأس والقوة في
الضعف وهي ينبوع الحنو والرافة والشفقة والغفران فالذي يفقد أمه
يفقد صدرا يستند اليه رأسه ويدأ تباركه وعينا ترعاه ونهرسه . فمثل
هذه العواطف النبيلة عواطف المحبة والشكر والعرفان بالجميل الاتزيم
شعاعا لا مما ونقيا على مجد هؤلاء العظام .

أما اذا اختلفت الأغراض يجوز للأولاد أن يقاوموا ارادة
والديهم بتحفظ وذلك في موضوعين . الأول اختيار المهنة والثاني
اختيار الزوجة بعد انما هما مطالب قلوبهم .

أثر المرأة في حياة الرجل :

تستطيع الزوجة أن تجعل بيتها جنسية اذا أحسنت التصرف
وحكمت عقلا وهزفت واجباتها وعاجت الطوراء المفاجئة بالصبر .

كما أنها وحدها تهدم معادته اذا تمكمت فيها الفيرة وخرجت الى
عظروها الشديد الجراح الذي يصبح بعدئذ نوعا من الجنون وتلك الفيرة
الجنونة كقيلة بأن تجعل المرأة شيطانا رجيا والحياة المنزلية جميعا
لا يطاق . ولديك فيما يلي الامثلة السكافية .

حكمة المرأة :

عرفت سيدة متزنة أن زوجها بصادق امرأة أخرى ترسل اليه
الهدايا الفاخرة وتبعث اليه رسائل يومية ولا عظت أنه أصبح كثير
التغيب عن منزله حيث يمضى الوقت مع صديقه - لم تثر الزوجة بل
كانت تسلمه الرسائل التي تعرف أنها من صديقه دون أن تفضيها
ودون أن تسأله شيئا عنها .

وكان هو بدوره يقول لها في بساطة أنها واردة اليه من صديقه
يعطف عليها لأنها فقدت زوجها وليس لها أقارب . ثم أخذ شيئا
فشيئا يحدثها عن مقابلاته لها زاعما أنها بدافع العطف والشفقة الى أن
كان يوم عيد وبينما كان يتناول الطعام مع زوجته قال لها واجها أن
صديقه مريضة وأنها تقيم في إحدى المصحات . فما كان من الزوجة
إلا أن أظهرت تأثرها واقترحت أن يرسل اليها هدية لمناسبة العيد
تدخل عليها السرور . وفرح الزوج لهذه الفسكرة وأثنى على زوجته
لطيفة قلبها .

واختار الهدية وكتبت الزوجة بخطها كلمة عبرت فيها عن تمنياتها
لها بالشفاء العاجل وكتبت الزوج بخطه اسم المريضة وعنوان المصحة

ولما وصلت الهدية الى الصديقة عرفت صاحب كل من الخطين فأدركت
أن الزوجة لا بد وأن تكون قد وقفت على علاقتها بزوجها فشعرت
بتأنيب ضميرها لها ، وقيامت علاقتهما بزوجها وانصحت به بان يكون
وفيا مخلصا لزوجه الطيبة التي ان يهد لها مثيلا وكان هو في الوقت
نفسه قد قدر موقف زوجته ونبهها قال على نفسه إلا أن يحيطها بكل
عنايته واحترامه وهكذا مرت العاصفة بسلام .

طيش المرأة وجهلها :

تزوج نابليون الثالث أوجيني ، وهي ابنة دوق أسباني ، ومالبت
ان توج امبراطورا على فرنسا فأصبحت اوجيني امبراطورة فرنسا
وعلى الرغم من انها كانت تتمتع بالحياة والصحة والجمال والشباب
والمجد بما لم تكن تحلم به ، إلا ان الشكوك والهواجس والغيره كانت
تؤثر في سلوكها بصورة تدعو الى الدهشة والتأمل ، فكانت تتصور
دائما ان الامبراطور يجلس في مكتبه مع امرأة اخرى فتثور وتقتحم
المكتب وتوجه اليه اشد الاهانات ايلاما للنفس غير عابئة بمكباو
رجال الدولة المجتهدين معه . كما كانت لا تتورع عن التدخل في كل
شئون الدولة وتأمره ان يطلعها على ما فعله في يومه كما كانت دائمة
البحث في سجل التشريعات والمقالات والغرض منها ، وضاق
الامبراطور ذرعا بهذه التصرفات المشينة التي جعلت من زوجه ومنه
اضحكة وسخرية ومع انه كان يمتلك القصور الفخمة الرائعة إلا
انه لم يكن ليجد ركنا صغيرا يأوي اليه دقائق بعيدا عن زوجته ،

وكان شيخها يلاحقه أينما ذهب حتى أصبح في حالة نفسية شاذة وأصبح جميع حياته مأساه ؛ بل جعلها متأرجح النيران وقد وصفها (برنهاردت) في كتاب عنوانه « حياة الامبراطور المحزنة » ذكر فيه أن الامبراطور كان لا يعرف كيف يتخلص من مضايقات وتنكيد زوجته المستعصية حتى لقد كان يؤثر الموت لعله يجد متنفساً لهذه الآلام المبرحة . وكان يخرج في طرقات المدينة حتى يسرى قليلاً عن نفسه بمشاهدة الناس وهم يمرحون ويمشون فكان يغبطهم على ما هم فيه من سعادة متمنية لو كان مثلم .

مثل آخر رائع :

مأساة الكاتب الروسي العظيم « الكسيس تولستوى » فمئذما كانت زوجته على فراش الموت قالت لابنائها « انى اعترف لكم بانى كنت السبب فى موت ابيكم) وطلبت منهم الصفح والمغفرة كارجت الكاهن ان يهلى من أجهالها .

والواقع أن تولستوى نزعها عن حب عميق متبادل ، أوحى اليه بأروع ما كتب فى الادب وكان كلاهما غنياً يتمتع بالصحة والشباب والمركز الاجتماعى الممتاز . وكانا موضع الاحترام والتقدير من الطبقة الارستقراطية الروسية كما كانا موضع الحب والاعزاز من الشعب .

وفى خلال السنتين الاوليين من زواجهما كانا يصليان معاً فى مسام

كل يوم ويطلبان الى الله أن يبقى لهما جميعهما المتبادل وسعادتهما التي كانت مضرب الامثال .

ولكن سرعان ما اكفهر الجر وتلبدت الضيوم في سماء بيتهم
المثالي وذلك حينما أخذ تولستوى يعيش عيشة تقشف وزهد عملاً
بوصايا السيد المسيح ويدعو في كتاباته الى الاهتمام بالطبقات الفقيرة
ويحسن الى الفقراء من ماله الخاص ويقدم مؤلفاته الى الناشئين
دون أن يأخذ عنها أجراً . على أنه في هذا كله لم يقتصر في واجباته
فحسب زوجته وأولاده فمكان زوجها ووالدا مثاليا ولم يحاول أن يصل
بأية امرأة . الا أن زوجته كانت تريد أن يحيى حياة الطبقة
الأرستقراطية ويفشى المجتمعات الراقية الممنازه وتسعى دائماً الى
الحياة بينه وبين هواياته لا بالانحسار أو التأثير أو اللباقة وإنما
بالتهديد بقتل نفسها . وكانت في كل يوم تنور ثورة عنيفة تجعلها في
حالة عصبية مثيرة للعز والالم ثم تمسك في يدها قارورة مملوءة
بالسم وتحاول أن تتناول ما فيها فيمنعها أولادها من ذلك وبعد أن
تقضى في هذه الازمة المصيبة ساعات ، تأوى الى فراشها بين بكاء
الابناء وحزن الزوج وعناية الطبيب وقد دامت هذه الحالة مدة
خمسة وأربعين سنة ، تحمل « تولستوى » خلالها من الآلام والحزن
والضيق ما يفوق طاقة البشر وظهر أثر هذه الحالة النفسية في
مؤلفاته الأخيرة .

وكانت زوجته في آخر أيامه ترجو منه بعد أن تفيق من نوبته
أن يقرأ لها الصفحات التي كتبتها عنها قبل زواجهما ، وظل حاله
هكذا الى أن كان يوم وقد فاض به الالم فخرج من منزله لا يلوى على

شيء هائما في الطرقات . وبعد أيام استكشفت جثته ملفاة بجرار
أحدي عطات السكة الحديدية ووجدت في سترته ورقة كتب فيها
أنه يرجو ألا ترى زوجته جثته .

حفل آخر :

أبراهام لنكولن وهو من أعظم رؤساء الولايات المتحدة عندما
تزوج كان محاميا شهيرا وكانت زوجته من أسرة كبيرة عريقة . وأقاما
عندما تزواجهما في نزل (بنسيون) وفي اليوم الثاني وبينما كانا يتناولان
طعام الإفطار في حجرة المائدة مع باقي النزلاء إذ أخذت الزوجة
كوبا كبيرا ملوما بالقهوة الساخنة وقذفت به زوجها فسالت القهوة
على وجهه وبدبه فما كان من صاحبة النزل ألا أن أخضرت منشفة
وأزالت آثار القهوة عن وجهه وأسففته . ولنتصور موقفه المخرج
بعد ذلك . ترك النزل وأقام في فندق آخر مع زوجته أيضا التي كانت
حائمة التهم عليه والسخرية منه ، وكانت لا تهني به ولا تطيع له أمرا
تنتقده بشده ومراره وكانت تقول له أمام الناس أنه يشبه المريض
بالسل لنحافته وأن شكله لا يروقها وأنه من سوء حظها أن تزوجته
ولذلك كان يهرب منها ويقيم وحده في مدينة أخرى له فيها أعمال
قضائية ويسكن الفنادق التي لم تكن مستقلة لكل أسباب الراحة .
إلا أنه كان يجد في ذلك راحة وهدوء لا يجدهما عندما يقيم
مع زوجته .

فمن منا كان يتخيل هؤلاء العظماء الثلاثة وهم من جنسيات مختلفة
اجتمعت لهم كل أسباب النعيم ألا أنهم كانوا اتساء الى هذا الحد .

الفصل الخامس

متع ذاتك

متع ذاتك بمسرات الحياة البريئة ولا تحمل نفسك
همومها واكدارها فتصل الى غايتك المنشودة .

ينذهب وسكن في زعمه الى أن الدنيا حافلة بالحسنات والطيبات
ويفتح على قلب الانسان ونفسه باليوم والتأنيب لما أنهما لا يحسمان
انتماز القرص واغتنام المسرات .

على أننا لا يسهلنا أن نتفنى وجود المصائب والاحزان . إذ لا بد
لنا من مقاساة الآلام واحتمال الاوصاب ومعاينة الهموم .

وقد قيل أن الغنى لا ينجمه من افات حزنه إلا مرور الزمان أما
الحكيم فيندرك أمره اذا دهمته الاحزان (ولا يفرق أحد في بالوعة
اليأس إلا كان هو الرامي بنفسه فيها)

ثم أن المصائب الكبرى كالمرض . والموت ليست هي ما تسود وجه
الحياة أمام أبصارنا وبصائرنا لأنها ليست نادرة الوقوع بل هي داخلية في
باب المحتم والمألوف فهي لذلك خفيفة الوطأة ولكن هناك غيوم يومية في
سور العائلة تسكد صفاءها . غيوم تتصاعد من بحر سوء التفاهم وتلبد

تحت سقف البيت ثم تهطل من عيون أهله دموع لوم وعتاب وصفح
وتساعح وإلا كانت حجابا مسدولا على النفس يمد بها ويشقيها .
وهكذا فلنذكر أننا نجر شقا نا بأيدينا ونجنى على أنفسنا أكثر
 مما يجنى علينا .

وهناك أيضا نزع غريب من السماء هو انتظاره وتوقه قبل
وقوعه . وكم من مصيبة نتوهم وقوعها ولا تقع .

إنها حقيقة راسخة وبليّة أن يشغل الإنسان فكره ويقلق باله
بدون داع تارة ويثقل كاهله ويحمل نفسه أعباء هو في غنى عنها
فيعيش وصدره مملوء بشواغل لا آمال وما الحياة إلا طريق أوله
المهد وآخره اللحد . ويؤخذ مما سبق أننا لا نزيد المصيبة إلا جماعة
كلما جزمنا لها ونخرفناها .

كثيرة هي المصائب التي نمنى بها في هذه الحياة وإلكنها أنواع .
فبعضها حقيقة شديدة الرطاة على النفس ولا سيما تلك التي نجرها على
أنفسنا ونجنى بها على ذواتنا - وإلكن البعض الآخر وهو الأكثر
ليس إلا أشباح ازواج وخيالات مصائب موهومة يسكن أن نتفرسها
بمين الجراءة والثبات لنعلم أنها ليست من بنات الدهر بل من بنات
التصور والفكر .

قال في ذلك بلونارك مخاطبا معاصريه .

وإسنا لنخشى أن نذوق مرارة النفي التي ذاقها أرسطيدس في نفيه
أهم نتخرج غصص الضم التي تهرمها انكاغوراس في سجنه أو أن

ننحط الى درجة الفقر المدقع التي هاش عليها سقراط أو أن نظل بمثل
الجور الذي حكم به على فوكيون ولكن الفضيلة جديرة بحبنا لها حتى
ولو سامنا الدهر من أجلها مثل هذه من صنوف المهقة والعذاب .
وأخلق بنا أن نكرم النفس اكرامها الحقيقي غير مكترئين بالأحوال
الخارجية التي تهقد بنا .

نحن غالباً ما نعظم المصائب والمصاعب بفرط ما نهرف النظر
اليها هو ضا عن أن نميل به الى سبيل النجاة منها .

والاخطار التي تخف بالمرء تخف وطأتها إذا تراءت له من أول
الامر . وهي خداعة أكثر منها ظلامه (مع أن الاخطار لا تبرح
مكانها لكن المرء هو الذي يسمى اليها) والواقع أن من أطال سهره
أخذ الناس ومن نام عن اخطاره أضحى في قبضتها .

فالنظر الى الامام حكمة أما الحزن مقدما فهو جهل وغباوة وأن
تبني من أمالك قصورا في الهواء خير من أن تقيم حول نفسك
اسوارا وسجونا من الحيرة والارتباك وسجونا لو تحقق عند جميع
الناس أن الاساءة الى الآخرين لا تزيد في سعادتهم شيئا وقد تعبت
بها . وهذه الحقيقة جليلة ظاهرة في أمر الصغار القاصرين فترى الاباء
الحريصين على سعادة أبنائهم لا يعفونهم إذا أذنبوا بل يعاقبونهم .
ورب قصاص هو الخلاص وعقاب هو الثواب .

أثر الدين في الاخلاق .

الاخلاق هي مدار الصلاح والخير والرق والسعادة وهي حجر

الزاوية في النجاح الفردي والاجتماعي وعلى أساس الاخلاق تبني
سعادة الافراد والامم والعكس بالعكس فالاخلاق تصون القوى
الفكرية والجسمية للانسان وتقيمهما سليمة قوية تعينه على النجاح
وهي تدرب القوى المعنوية عدا أنها تصون الوقت والمال من حياة
الفساد والاستمرار .

والاخلاق عنصر حيوي في حياة الافراد والامم .

قال نوبالز « تسألوني عن الاخلاق » انما الاخلاق هي الارادة
الموفقة التامة للتكوين والارادة اذا تم تكويناها ثبتت على الزمن
ودامت مع العمر فان الرجل الصادق الساعد النية على الخير متى مضى
على عزمه وتشبث بحرارة لا يمه مدح أو ذم ولم يحفل بسبب
أو خسارة في هذا المدمار بل حسبه ارضاء ضميره بخدمة الحق والمروءة
والانسانية كغاية ضرورية ونهائية في قصد وجود الانسان الارضي
كما تطلبت الرغبة الموحدة أو الخالقة .

والارادة مجردة عن التوجيه هي الثبات والمثابرة والاستمرار
لسكن الارادة القوية اذا لم توجه للخير كانت لا محالة من أكبر عوامل
الفساد والشر فهي في صدور الجبابرة نار ملتهمية وحرية مطلقة .

الدين :

هو الاخلاق الفاضلة والحياة العملية بل هو الاساس لها لانه

يمطى فسكرة عن قوة أهلى تراقب حركات الانسان وأفعاله وتسجلها عليه وتهاويه عنها فى هذا العالم أو فى العالم الآخر ولما كان الانسان بطبيعته محب لذاته يود لها الخير ويسعى بجهد الاستطاعة ليدرا عنها كل اذى فانه محتاج لمنعه عن الشر الى رادع يردعه ويكبح جماحه .

والدين يرجع الرقابة والحساب الى قوة أعلى مفروض فيها أنها ترى كل شىء حتى ما يجرى فى الخفاء والحلوة تراقب حركات الانسان وممكناته فى كل مكان وكل وقت مهما اجتهد الانسان أن يتعمق مقاصد شره بعيدا عن عين الرقباء وهذا ما لا يتوفر فى الشرائع المدنية والقوانين الوطنية . والدين لهذا كان عاملا أقوى بكثير من تلك القوانين والشرائع على حفظ الاخلاق وصيانة الاداب .

ومما يؤديه الدين فى سبيل المساعدة على تهذيب الاخلاق ورفع مستواها فى الحياة البشرية هو أنه يسحو بالنفس الى ما فوق وبهذا يولد فيها روح الاحتقار للشهوات الدنيئة ونفور منها . وهذه التقريب الفسكرة وايضا أنها أن أقوى عامل لتحريض النفس البشرية على تجنب رذيلة من الرذائل هو أن تشعر النفس بكراهية لتلك الرذيلة فى ذاتها وأن تحس بشعور احتقار لها وأن تشعر بنفور واشمئزاز منها . وقد حل الاختبار على أن مجرد الاقتناع بنتائج الشر لا يكفى ما لم يكن مصحوبا بروح احتقار للشر ذاته ولو كانت معرفة النتائج تكفى وحدها لحجز النفس البشرية عن الشر لما أقدم انسان على القتل وهو يعلم أن جزاء القتل هو الاعدام ولما امتدت يد السارق للسرقه لانه يعلم أن أبواب السجون مفتوحة ليزج فيها اللصوص ولما عاشت نفس

عيشة اللهو والفساد والاستهتار والنساس يرون الفوائد المؤلة
تدور حولهم .

والسبب في هذا التصرف المسكوس أن الميل للشر عادة يسلب
النفس ارادتها ويجعلها أمام سلطانها كالعبد الاسير و بازاء هذه اليهودية
والارادة المسلوقة يحس بأمر من اثنين عندما يثور الميل للشر - أما
أن يصبح الانسان كالمجنون الذي لا يعقل فينفذ مياله الشرير ويشجع
نفسه الشائرة غير عاين بالنتائج مهما بلغت خطورتها وأما أن تبلغ
به مدى الثورة النفسية الى حد يبقى تقديره للنتائج ويحفظ برغبته
في اتقاء شرها وفي هذه الحالة يضطر بحكم الارادة المساوبة أن يشعر
بالمعجز عن المقاومة فيبدأ أن يخضع نفسه من خطط اللوقاية والنجاة
لا تنفع ولا تجدى .

ومجرد الخوف من النتائج لا يكفي لمنع الشر لان الاحساس
باحتمال الشر في ذاته والنفور منه كثيرا ما كانا كافيين بذاتهما
لتوجيه الحياة في سبيل الفضيلة .

ودل الاختبار أيضا أن من توفر فيه الاحساس بحقارة الشر في
ذاته لا يحتاج لمجمود لردعه عن الشر وتحذيره من نتائجه لكنه
يسلك سبيل الخير برغبته ويعمل هذا بأنه مادامت النفس تحتقر الشر
فهي بالطبيعة لا تميل اليه ومادامت النفس تكون مجردة من الميل
الى الشر فالارادة فيها تبقى متينة وبذلك يكون الانتصار سهلا ميسورا .

وهناك سؤال مهم يقول وكيف يتولد الشعور باحتقار الشر في النفس ؟

والجواب يشخص في مقابلة الشر بالخير - فالشر في ذاته كره وما فيه يدهو الى احتقاره بل واحتقار النفس التي تلتصق به وكل ما في الشر من قبح وانحطاط تستره الاوهام الباطلة التي تخلطها الشهوة النائرة وينمكشف القناع عنهما فتظهر صورة الشر كما هي في قبحها ورداءتها لذلك يجب أن تواجه النفس البشرية الخير في صورتها الجميلة الرائعة حتى بجانب هذه الصورة الجميلة يتضح لها الشر في صورتها المشوهة .

والنفس لا تستطيع مواجهة الخير في صورتها البهية إلا إذا تسامت وحاذت في جو المبادئ الصالحة وانكشف لها أسرار تلك المبادئ في صورها الكاملة .

قيمة الانسان :

قال باسكال : مادورة الارض في الفضاء على سمتها - إلا شيء ضئيل بالنسبة لدورة الكواكب وما هذا الكون الا نقطة في صحن الطبيعة المنفوس ومهما علا ظننا بمعظم هذه الاكوان فالحقيقة أعظم وأكبر والطبيعة فضاء مستدير لا احد له مركزه كل بقعة ومحيطه أبعد من أن يوجد ببقعة فإذا يكون الانسان وسط هذا المشهد الهائل لابد أن هنالك مشهدا لا يقل عن هذا غرابة وعجبا - أعني ما هو دون الانسان فليتنظر الانسان الى أعصر ما يقع عليه بصره - الى الفلame مثلا - أن لها يدين ورجلين وعروقا تسيل بالدم فيه كراته وعناصره الممرى أن من يسلم ذهنه لمثل هذه الافكار لجدير أن يضييه الروح والوجل

لهول موقفه بين الغاييتين غاية الضئولة وغاية العظمة ولكن خالق هذه الاشياء يعرفها وليس أحد سواه .

القيام بالواجب :

ليست حياة الانسان مقصورة على ذاته انما هي له وغيره ولا يوجد من ليس عليه واجب يؤديه غنيا كان أو فقيرا . والحياة قد تكون نعمة لهذا ونقمة لذاك على أن أولى البر والتقى لا يرون الحياة هي التلذذ ولا هي اكتساب الفخر والذكر بل يرونها الجد والاجتهاد والعمل الصالح .

والاخلاق تتألف من واجبات صغيرة تؤدي بصديق وأمانة من قمع النفس عن الموى وصدها عما يُلذُّها الى ما يُلذُّ غير ما وتضحياتها فوائدها من أجل فوائده الغير .

ومن يعرف قيمة الواجب وخطورته لا يتوانى عن القيام به حتى يحققه بالفعل ويحول به الى العمل لان مجموع تلك الاعمال بعينها هي مجموع عاداتنا بل أخلاقنا .

وأحسن الواجبات ما أدى سرا ولم يطلع عليه انسان فان ذلك يكون اكرم واتقى وأبر وأوفى لا يشوبه زهو ولا يلحقه غرور ويكون صاحبه قد سار على سنة أجدوا على وشريعة اشرف واسى تقضى على اهلها باعتقاد أن المجتمع الانساني حقا في ذمة كل انسان وديننا في رقبته مهما جهل المرء في قضائه وان كل سيئة أو خطأ يأتيه أى فرد ما سيحاسبه عليه المجتمع يوما ما فيؤخذ به ويهزى عليه .

نعم قلنا يكون طريق تنفيذ الواجب سهلا ممكنا لوجود موانع وعقبات كثيرة به فكم من مبصر الطريق الرشيد عاجز عن سلوكه وكم من سريع النظر الى الحق بطلىء التقدم اليه وكم من ابيب مقصر وعالم غير عامل - لكن كل هذا لا يعوقنا عن تأدية الواجب علينا عظاما كان واجبا ومهما كان شاقا وصعبا .

التواضع :

قال أحد الرجال الناجحين « اتبني أن تكون عظيما ؟ اذن فابدأ بأن تكون صغيرا - أتريد أن ترفع بناء عاليا وتشييد صرحا ساميا ؟ إذا فلتبدأ عملك بأساس من التواضع فانه بمقدار عمق الاساس تكون رفعة البناء والتواضع تاج الجمال والكليل . »

السيرة الداخلية :

من السهل أن يعرف من المرء حياته العلنية ولكن الذي لا يدرك ولا يطلع عليه هو حياته الباطنية - حياة روحه وضميره وأنه انى طاقة المرء أن يكون بارا أو فاجرا اذ ليس فى قدرة أحد أن يقتل من امرئ ضميره وروحه وانما تقتل الروح نفسها وبذلك لو استطعنا أن نفيد أنفسنا وغيرنا لكنا إذن قد بلغنا المجهود وأدركنا غاية الطاقة .

الضمير :

حب القيام بالواجب أساسه الضمير . والضمير شئ معنوى

عرف منذ أول المدنية فقد قال (مياندر) الشاعر اليوناني الذي عاش قبل المسيح بثلاثمائة عام : ان لنا في صدورنا آله اسمه الضمير ، والضمير هو الباعث القوي لعمل الخير دون طلب المنة وهو موافقة الهوى والشهوة السفلى لانه معلوم اننا لم ندخل العالم لتتبع أهوائنا ونهملك في لذاتنا لان هذا مذهب ذميم وخطة مردولة ينكرها نظام العالم أجمع - بل ينبغي أن نخضع تلك الغرائز الثائرة فينا لسلطة الضمير فينقرض البؤس والفقر والمرض من الارض وتعود الارض الى السماء بل تنزل السماء الى الارض .

وهو الدائم العام ، وابواب الشخصية منه يستمد الانسان ضبط النفس ومقاومة دواعي الشهوة وصدورها فعلى كل فرد أن يقرى شخصيته ويجهده أن يبصر طريق الحق فيسلكه لانه من الايق أن يفعل ذلك وفيه العزيمة وخلق به أن يكون حقيقة مادية من أن يكون ظلالا وصدى لغيره ومستودع العوائد الخبيثة والمصطلحات المرذولة المفروضة .

والضمير لقبه بما تشاء فهو قوة هائلة يلقيها صمويل صمير في كتابه تأدية الواجب بالوحى أو الفريضة الدينية التي تظهر حينما نشعر بحرب تنشب في داخلنا بين الغرائز العليا والغرائز السفلى أعنى بين الروح والمادة - بين الخير والشر لترجح الاولى على الثانية .

وتلك الفريضة الدينية التي لن تخرج عن شعورنا ووجداني في الداخل هي بعينها كانت نبعاً لكل ديانة ظهرت في هذا الوجود وتوصل الانسان عن طريقها الى الاعتراف بوجود الله وبأن تلك القوة هي الممثل

الاول له في الانسان بل هي حلقة الاتصال . ويقول كانون موزلى في ذلك : انما بُيئت الديانة على محاسبة النفس اذ يفضى المرء ببصره الى أعماق سريرته فيرى ما هنا لك من قتال بين الروح والمادة فيصبح من أمر نفسه على بينة ثم تقضى به معرفة نفسه الى معرفة خالقه وبذلك يميز المرء بين الحق والباطل ويظل بالحيار بين الخبيث والطيب ومن ثم تقع عليه المسؤولية والحساب .

شعور الانقصار :

قال جون استوارت : أنه مهما قوى علينا باعث الهوى فلا نزال نشعر بفضل قوتنا عليه وأنه لو شئنا أن نتغلب عليه لفعلنا . يجب أن نشعر بذلك والا لشعرنا بغيره لنا لنا من ذلة وخزي وبأس من بلوغ الكمال قسما كبيرا .

الانقصار .

لا يحرز المرء صفات الكمال حتى ينتهر على شيئين . الاول هو انه والثاني تدخله في شئون الغير بدون وجه حق .

طاعة القانون .

أن طاعة الانسان للقانون وعصيانه اياه أمر يرجع الى ارادته وعزمه قال كوبر د لاخرية الا ما نيلت عن طريق الحق وكل حرية غير هذه فهي أسرى .

العلم والاخلاق .

أن كثرة المعلومات والمعارف وحدها لا تهذب الاخلاق وتقومها
ولا هلاقة قط بين كثرة العلم وبين الصلاح والتقوى لانه كثيرا ما
نرى العلم يفسد التواضع ويجعل الكبرياء مكانه وقد كان معظم معلمى
الامم ومنهم من يفتخرون من غير ذوى الرفعة فى العلم والمكانة .

غرور العلم :

ويزعم الجبل الحاضر أن تقدمه ينحصر فى قوله فى العلم الفلسفى
الى بل الكفرى فحسب دون الالتفات الى علوم النفسانية والنجاح
لذلك لا نرى فيه حتى الان غير ما يملانا تبرا وشكا والحادا فى
مزايعهم . الا ترى اهله شيوخا بانوفهم كبرا وسموا
بابصارهم ترفعا فهم لا يعيشون فى مستوى الناس بل فى سما
وهومة من كبرياتهم يسخرون من فضائل السلف ومكارمهم من جد
واجتهاد وورع وعفة ودين وتقوى وزهد وقصد ووفاء وحب ورحمة .

دين هؤلاء لا يثبت شيئا بل ينفى نفسه بنفسه ويبحث على احترام
من هم على شاكلته فلا يؤمنون الا بانفسهم . انه شئ محزن ومؤلم حين
نرى هؤلاء يقتضون اعمارهم فى مباحثات ومحاولات فى تلك المسائل
العظمى التى كان اباؤهم يؤمنون بها ايمانا ضمن لهم فضائل اليقين والبر
والصلاح والتقوى .

العلم والفضيلة

وتكاد تنعدم الصلة بين الفضيلة والتعليم المدرسي لان ليس لتربية
الذهن تأثير قوي في سلوك الانسان ولا للحنائق الملقاه في الذاكرة
والمواعظ المصيرية في المحافظة قدرة على قمع الشهوات الفاسدة والاميال
الخبيثة لان ما للذهن الا الله فحركاته وامله مختلفة كالاتصال والحزم
والعزم وضبط النفس والخيال والتحمس ومعظم هذه تولدها الحياة المنزلية
لا المدرسية .

ويقول افلاطون كاستاذ سقراط ان اركان الفضيلة أربعة ١- الحزم
والعقل ٢- الشجاعة والثبات والصبر ٣- الفصد والتبصر وضبط النفس
٤- العدل والصلاح . وكان يمد هذا التقسيم أساس فلسفته الادبية وكان
يقول : دع الناس جميعا رغبهم ووضيغهم فقيرهم وغنيهم سعيدهم
وشقيهم يؤدون الواجب ثم يقدون بعد ذلك آمنين مطمئنين .

ويقول بونالد : اول دروس الحياة عادات لا حبيج وبراهين
ومثالبات لا معلومات ومعارف لان الامثلة الصالحة أجدي نفعا من
خطب مسهبه وأحاديث معسولة مطولة لان تلك الامثلة توقع بالفعل
والفعل أعصب من القول وأجمع الادوية أسرعها نفعا .

من هنا نعرف ان قوام الفضيلة هو العمل الصالح أما النية الطيبة
لا تكفي بمفردها وقلما تأتي بانتاج مثمر ما لم تفرق بالتنفيذ السريع .
والعمل الثبيل خير استاذ ومهذب والكسل يبلى النفس والضمير والجمود

ولعل تسعة أعشار ما بالناس من بؤس ومشكر إنما أصله الكسل
ولولا العمل ما كان ثمة تقدم ولا رقي .

على أن مدرسة الشدائد خير مدارس الأخلاق والمبادئ . ومنه
ضاققت الشدة والمحنة كان قراها عند العاقل الصبر والتسليم ويقول
أرسطو أن السعادة تظهر بوضوح وبجلاء في النفس وقواها لا في
الامتنعة والأشياء وأن مصارعة الشدائد يلوح لذتها في اذلالها وبقهرها
بانتصار العزيمة وذلك يملأ القلب ثقة بالفوز ويدفع المرء إلى اقتحام
كل عقبة .

المعاملة

كان كوفوشيوس يعلم تلاميذه أن حسن المعاملة ثلاثة أرباع
الحياة ويقول : خذ نفسك بالاستقامة وروضها على القصد وأعزم أن
اليقين والعفو والرحمة والاجتهاد والجد مدعاة لحب الناس ورضا
الخالق وأن الوفاء والكرم والاخلاص والهمة والرافة أركان
الفضيلة .

الفشل سلم النجاح

الحكمة والفشل الذي يعترضنا في جميع أطوار حياتنا قبل إدراك
النجاح إنما هو درجات السلم الذي نرتقيه بصعوبة وكد بينما أبصارنا
تدفعنا عزائنا إلى أعلى وإلى أعلى تلك المسرات الكثيرة التي نخفق

الإنسان في الوصول عن طريقها الى غايتها انما هي انتصارات في ثياب
هزائم ان ادرك المرء سبب تمثله وحسب حساب تقدمه .

ويقول أحد الكتّاب اذا كان الجهاد في تدليل الصعاب هو أول
ملاذ الحياة فكم يكون انمام العمل ونجاحه فيه الا جبين الملاذ

وليس للنجاح من منبع سوى ميدان العمل والاصرار في تنفيذه
على الوجه الاكمل هو ما يعرف بالاعزم المسيطر على الظروف والحوادث
وهو مزيل الموانع الذي لا يوهن تقدمه الاكلمات السعد أو النحس
النعيم أو الشقاء .

دين الجليل الحاضر :

واني أرى الدين عند أكثرية ساحقة من الناس الفاظا تردد
وحركات تكرر ومدح لغير أهله وشكراً لمن لا يستحقه . أرى جماعة
يفعلون الصالح ويأتون بالمسكرات ويبلغون اسمى الرتب بالكلام
والقول وما أسهل الكلام انه فن يحذقه قوم كثيرون . نعم ما أضعف
العزائم وما أخور الهمم . ما أقل من يميون قراآتهم من كتب
الدين بل ما أوسع صفحات الدين المملوءة بمعانيه وما أضيقت صفحات
النفوس الجرداء منها .

وانه من شر ما يبتلى به المجتمع من المجتمعات ان تفرق الاخلاق
نقيه بأرذل وأدنا الطبائع مقرونة بالذل والخنوع لذوى المناصب
وبالحبوت والطفيان على الصغار الضعاف وظلم الضعيف منتهى
الحسنة والتدالة .

ويقول كاتب فرنسي شهير في أهل هذا العصر أن قلة الاكثريات في كل شيء هو دين الجيل الحاضر ولقد أصبح المال هو الحافض الرافع المعز المذل القادر على كل شيء وليس من كائن وشيء في الوجود الا وتشتريه بالمال - الذمة والضمير والشرف والدين والرأي والرتب والمناصب والجاه والسلطة والاحترام والاجلال - كل هذه المفاهيم أصبحت سلعة تباع وتشترى بالمال .

لقد كانت قبل ذلك أراء فلسفية ومذاهب كفرية حتى انتهت بظهورها في مذهب قلة الاكثريات مذهب قبر الذهن وضريح الذمة والضمير الحي .

مركبات أخلاقية :

الصدق والأمانة مركب طبيعي يجعل المرء عظيما في كل ظروف حياته إذا استخدمه أمانة على حياته لأنه روح المبدأ وجوهر الشرف وعنصر الاستقلال الذاتي وهو أول شرط يستلزمه النجاح في الحياة . ونحن في هذا العصر أحوج الى الصدق منا الى غيره .

وعلى النقيض فالكذب على كثرة انتشاره مذموم حتى من الكذاب نفسه فتراه يخلف أنه لا يقول إلا الحق لعلمه أنه محمود - والكذب رغم أنه مئاني للأمانة والصدق فإنه أيضا يدل على الجبن .

ولماذا لا تجرئ نفسك على قول الصدق ولا داعي للكذب -

تند من حولك جماعة الكذابين لانها ذئاب خاطفة تظهر في ثوب حملان ودببة .

الكذب في العمل أيضا كالكذب في القول وكذا برا هذا النوع أيضا كثيرون فكل فرد في المجتمع لا يقوم بعمله على الوجه الاكمل فهو كذاب والدليل القاطع على دناءته ونقصه انه يروغ من الصدق ويستعمل الرياء والتفاق والمداعنة - أما الرجل المخلص فانه يقول كما يرى ويستقد بما يربك انه يعتقد ، ويعمل كما يربك وينى بما يعد .

والكذب من أشيع الرذائل وأسهل ارتكابا - وهو مهما تغوض عنه وتسوخ فيه فانه نصكريه لدى كل طاهر نقي صالح نقي ، لان الاكاذيب وان ضللت انما هي وصيات تدنس القلب وتلوث الضمير وغير للقلوب أن تطهر من جميع الاكاذيب بدون نظر الى أيها أسود وأيها أبيض . قال أفلاطون : قل لمن يطلب الخير والسعادة أن يسمو الى مرتبة الصدق فهناك - وليس دون ذلك الفوز والخير والسعادة .

الشجاعة الاخلاقية :

الشجاعة الاخلاقية من مقومات النفس فهي النزاهة وسلامة الضمير والاقدام لنصرة الحق على الباطل بالرغم من تسكيد المشاق والمصاعب التي تعترض الحق دائما بل انها تخرج الى الثبات والهمة أزاء الباطل وتلك صورة رائعة الجمال للفضيلة عنوانها جلد وحزم احتمال وبسالة صادقة .

وايست الفجاجة في ميدان القتال فحسب بل كم من شجعان في الدنيا يحاربون في معارك الحياة مجادين في السعى للوصول الى مبتغاهم من غير مكانة ثم لا يصلون وكم من تدفعهم الحاجة فيتم الكوف اليها ثم يعودون خائرين فلا يلبثون أن يرق لهم الآمال فيعيبدوا السكره مستعبدان .

فجندى الايمان لا يندفع بالاقدام الذى يتدفع به جندى الحروب - لان الاول يضعى بنفسه في سبيل مبداء عالما أن هذه التضحية هى مفتاح ايمانه في غير شهرة ولا طموح الى أمل غير شعورهم بانجاز واجبهم .

والخلاصة أن الفرص سانحة لفعل الخير لكل من يشاء والروح الحادة تيسر سبيلها الى قلب النير والصبر يتغلب على كل الامور .

أعمال حسنة :

وهكذا توجد أنواع كثيرة من الاعمال الحسنة لا يدركها الناس ولا تظهر جليلة إلا أنها عظيمة ذات أثر طيب وربما وجدت بين الفقراء أكثر منها بين الاغنياء لان الفقراء وأبناء السبيل يعرفون مصائب أنفسهم فيعطفون على نظائرهم .

جهود وانكار :

انه من المؤكد أن يقابل الرجل الخير بالجهود والانكار ولكن

يجب ألا يكون هذا عاملا لا لتوابعه والتبرم من مبادئه لأن هذه إحدى
المصوبات التي تقابل الإنسان في الحياة .

المقاصد الشريفة العالية .

وخلاصة القول أنه ليست المادة هي القوة اللازمة ولا القول
الكبيرة هي القدرة الفعالة إنما المبادئ السامية والمقاصد
الشريفة العالية .

ويمكن للإنسان أن يجاهد في الحياة بما في وسعه فيجعل لنفسه
ولغيره من القيمة بقدر ما أعطى من القدرة فإذا لم تعارضه الظروف
والموانع والعوائق كانت له السلطة المطلقة على حياته المادية والادبية .

الفصل السادس

الطبيعة في حياة الانسان

تأملات في الطبيعة :

يقول شتوبريان . ان محاسن الطبيعة انما تكون في قلب المرء
وإن نفسه وإنه لا يرى إلا ما يحس ويشعر به .

والواقع أننا نهش ونحو لنا من محاسن الطبيعة ما يصحح الالباب ومن
عجائب الكون ما يحير الازهان وقل منا من يتمتع بها ما استطاع .

فالناس في أغلب الاحوال لا يرون إلا ما عساهم أن يكونوا
في طلبه والبحث عنه . يرفعون أبصارهم الى السماء مثلاً وقلما يكون
ذلك منهم إلا نشيئاً من حالة الجو من حيث الصحر والامطار .

وقد يتفق وجود الخسة في حقل واحد فيأخذ الفلاح منهم يتأمل
الزرع ونماءه ويؤمل غلة ومحصولاً .

ويقف الجيولوجي وقفة بخيل ضاع في التراب خاتمة باحثاً عن
المعجزات (بقايا نباتيه وحيوانيه مدفونة في تربة رطبة) الى كم
يعثر عليها الزارع ولا يهتم بها .

ويشرع النباتي ينقوس الاعشاب والازهار مقابلاً بين فضائلها
وانواعها . وينشأ المصور يتأمل تناسب ألوان النباتات والافق

والصخور كما أنه ينتقد رسما لرب الفن . ويطنق الضياد بردد الطرف
ويحيله هنا وهناك مملا نفسه بالعودة متأثرا لمطاردة صيده .

وقال كمبل : حسن بنا أن نرسل رائد الفكر الى العالم العلوي -
عالم المجد والجمال فاقول . وجميل بنا أن نتعرف بحسن هذا العالم
ونتمتع بها كما ينبغي . وقد ذهب البعض ومنهم فكتور هوبز الى
أن تأثير الجمال في النفس غالبا ما يحارى ما عسى أن يكون فيها من
أثار الحزن والامى والكآبة ومن قوله بهذا الصدد . كم نجد حتى في
حياة السميد المحفوظ من الناس أن عوامل الفرح والإبتهاج
أضعف تأثيرا من عوامل الحزن والأسف . فاكفهم رار وجه السماء
وتستر البدر بحجاب الغيوم أجمل في عين النفس من سماء باهر وشمس
متألقة ساطعة . وكان اتشاح الطبيعة بنير الزاوى الرائع من أثوابها
دليل على تزيينها بزي نفوسنا وعلى محاولتها تعزيتنا ومشاطرتنا
همومنا وإزاحتنا .

على أنى أرى أن هذا الرأي ليس سليما وعندى أن الجمال
الطبيعى يقوى الشعور ويشد أوتاره ويظيب النفس ويخفف الروح
ويشاج الصدر . قالت من جرج عن بعلمها في كتاب ضمنتها تذكارات
حياتها الزوجية .

ان ما يحدث بنا عند مشاهدة المنظر الطبيعى الجميل أو سماع
اللحن الشجى الرخيم أو تأمل الرسم أو التمثال البديع . انما هو ارتفاع
الحجاب وتسرب شيء الى النفس يختم مع ما فيها من لذة أو ألم
وفرح أو حزن فيزيده ويضاعفه

ان الطبيعة أم حنون تلوح عليها أمارات الكدر وتحجب وجهها
بغيوم وغياب فنظير كأنها تشاطرنا أحزاننا ونفرها البسام ومحياها
الصبح فتقر عيوننا وتطيب نفوسنا وتدفعنا الى الامام وتوحى اليها
ما يسمو بنا ويرفعنا الى عالم الجمال والكمال .

قال وردسورث . الطبيعة حبيبة لانخضر ذمة القلب الذي يحبها
ولا تشكك له عهدا وهي نحاتز بنا مراحل هذه الحياة من بهجة الى
بهجة ولذة الى لذة وهي التي ترف الى العقل بثبات الافكار وتنزل على
النفوس آيات الجمال والطمانينة والسلام .

وفي الواقع إذا أخلصنا الحب للطبيعة وحاولنا أن نصرف بعض
الوقت بين أعضائها لأمننا شر الناس ونجونا من عراقيل الحياة اليومية
وبتنا نعتقد أن كل ما نراه حسن وجميل وأن الطبيعة والكون الذي
نعيش فيه إنما يفيض حسنا وجمالا وحسنات ومركبات .

ويحق لمحبي الطبيعة وجمالها الا يعرفوا الكدر والسامة - انهم
يتلون ويحربون ويصابون كغيرهم من الناس ولكنهم لا يستسلمون
للضجر والجود والبطالة استسلاما يسهل معه الاندفاع الى التمتع بلذة
ساعة تعقبها ندامة مثنين »

وحب الطبيعة أكبر عون على التوصل من حكم تلك المطالب
والرغائب الدنيئة التي تعبت على حقارتها بالطمانينة والسلام الذين
يتطلبهما العقل السليم والنفوس الزكية .

ومع هذا فالطبيعة ومركباتها ليست نصيب نفر قليل من الناس

دون السواد الاعظم بل عامة تشمل محبيها وعشاقها كائنهم من كانوا
وهي تسبغ علينا أفكار البهجة ونعم القناعة والسلام العقلي .

ههنا للعالم الطبيعي الذي درس أحوال الطبيعة واستطلع أسرارها
فالشمس تشرق لتحييه والبدر يطلع ليناجيه والمصافير تفرد لتشجيه
يمر بالازهار ينادها باسمائها فتبسم له تغورها وتحدثه حديث تنويرها
وتفتيحها . وبالأشجار فتسجد له أغصانها وترقص له أفنانها وتسرد
على سمعه أنسابها وفصائلها وأنواعها .

بستقبل الفصول ويودعها كأنه يودع خلانا عرف أطوارهم
وأخلاقهم فهي تمضي ويحفظ له منها تذكارا يقابلها بما تعود به في
أدوارها وأوانها العام التالي . ولديك بعض النظرات لبعض العلماء
الطبيعيين في محاسن الطبيعة .

يقول همرتون . لا أعرف شيئا جمع الطهارة ورائع الجمال
كجبل عظيم تجمد ثابجه وانمكنت صورته في مرآة البحيرة المحاذية
له - يميل الميزان وتنحدر الشمس من سمتها (رأسها) فتراعى خلالها
المعجبة وكأنك تشعر ببردها . ولا تلبث أن ترى الثلج الساطع
البياض يختضب باحمرار لطيف باهت وإذا بالجلد استعالت زرقته
إلى لون الحجر الكريم الأخضر اللون الذي يتولد في معدن الصفرة
(الذهب) ربما هي إلا دقائق فنزل هذه الروائع زوال كل جمال أما
تأثيرها فينطبع على الخيلة ويختتم عليه بخاتم الجمال .

أما وليس فيقول أن أكثر ما يروقه ويلذذ من محاسن الطبيعة

وأشدها تأثيرا في نفسه ما كان من قبيل جمال اللون سواء كان في
الجمادات أو في ذوات الحياة .

فرقة الجلد في رائحة الثمار وزهاء الشفق وقت المغيب وطمارة
التلوج على الاودية - هذه بنايع بهجة وموارد مسرة لكل ذي عينين
تبصران وما هذه إلا راويز (صور) على محراب الطبيعة المعشوقة
المعبودة - تتغير ألوانها وتتحول من جميل الى أجمل ورائع الى أروع منه .

أما ووردن دي سانت بيير في وصفه ليلة يقول : كانت ليلة نهر
مظلمة - وأنى لريشة المصيرين تمثيل لظلمة وجهها . أما البدر فكان
يتمادى في عرض السماء في موكب من النجوم الزاهرة ويتخذ من
الغيوم رافع ومجر من السحاب ذيولا وكان ضوءه يترامى بالظف
الظلال على مذاكب الجبال وعلى أقدامها المزدانة بالحضرة المنعشة
وأما الريح فكانت تمسك أنفاسها تقسارى مثل أجنحة الملائكة التي
تحمف بوجه الطفل وتلامسه ولا تسمح لها الأم حفيفا . وكانت تنقل
الينا تضاحك العصافير وتناغيها وهي تتهامس وتتداعب آمنة مطمئنة
البال وكأنها أدركت قصر العمر وعرفت قيمة جمالها الليلة القمرية
فأبت إلا اغتنام الفرصة وآثرت حياة السهر على موت النوم وحتى
الحشرات كانت تنحرك خلال النباتات ساهدة مؤرقة . أما النجوم
فكانت عيوننا يواظب يبصر بها الناظرون حسن جمالها وجمال خيالها
المنعكس في مرآة البحر .

ويقول ايزاك والزن . اذا طلبت الارتياح الى الوجود واستزادة

أنقى في قدرة العناية الإلهية وحكمتها خربت إلى المروج المحاذية
لضفاف الجداول الفضية وأنشأت أنامل الزنايق المائتة بدون هم
أو اهتمام وأراقب المخنوقات الصغيرة التي تخلق فتطعم وتقات بيداله
الطيبة الكريم الجواد . ويتحدث عن البحيرات فيقول .

البحيرات مواطن راحة وأطمئنان وهديء وسكون بخلاف البحار
والأنهار فقد يسبحو البحر أحيانا ولا يمكنه لا يلبث أن تتلاطم لجة
رتنضارب أمواجه وقد تميز بالنهر مطمئنا هادئا فلا تسكاد تعلم اتجاه
بجراه ولكن استمر قليلا وإذا بك تراه متحركا بعد السكون ومرغيا
مزبدا بعد الجمود فكأنه مستيقظ من رقاد ومستبدل السلام بالجهاد
أما البحيرات فقلما تغشاها إلا مستغرقة في نومها مستطية أحلامها .

ومن الناس من يقفون على البحر يتأملون معجبين ومنهم من
لا يقضون من البحر طرا إلا إذا نحروا أمواجه وأمعنوا في عبابه
ومنهم من يحبونه واقفين على أقدامه وذاهبين آتئين في صدره (وللناس
فيها يمشقون مذاهب) .

البحر يباري الزمان في دوامه ويطاول الخلود في بقائه . تمر الوف
الاعوام وعشرات الألوف والملايين وهو في يومه كما هو في أمسه وغده
تقلب الجبال أودية والأودية جبالا ويتحول الزاب شجرا والشجر
ترابا والبحر محرا لا يتحول ولا يتغير .

الطيبة في الجبال أطلق يدا وأطلق محيا وأطمز قلبا بما نعمدها في
سائر مواطنها هنالك تتدفق الأنهار وتسبح البحيرات وتزهو النلوج

وتتمتع جبال الجليد وهناك يطلق النسيم أنفاسه العذبة وتتماقح
الذرى والسحاب .

للخريف والشتاء مناظرهما . أما الخريف فهو ظلام على الجبال
وأكفهرار على التلال أشهره تهب الزوبعة ويشير الأعصار على
الحقول وتندفق الأنهار مكدة فوق السهول وتلاعب الرياح بأوراق
الأشجار وتثرها فوق الرموس والأجداث .

والماء اذا نحن ذكرناه في القيم والسحاب والغمام والضباب وفي
هندام الصخور وتلطيف أشكالها بعد ضخامتها وخشونتها وفي الثلج
الذى تتشح به الجبال ثوبا من النور الساطع وفي زبد اللجج وقطرات
الندى وفي البحر الزاخر والبحيرة الساجية والنهر المتدفق والجدول
المررق فماذا عسانا أن نشعر أو لا نشعر به وماذا عسانا أن نصف
إلا أننا في محاولة وصفه كن محاول رسم الروح . (روسكن)

أما الغيوم فلم يدع خيال الانسان شكلا الا تمثله فسكن تراءى له
وتخيلها سلاسل جبال مخلفة في الفضاء أو مدنا معلقة في الهواء أو
لحجا تتلاعب بها الأنواء بل طيورا سارحة في الجو وقطعا من مشتمته
في الجبل ووحوشا بين الأرض والسماء .

أما فضل الشمس علينا . فليس لأنها مصدر نورنا ونارنا فقط
بل هي محور نظامنا السيارى ومصدر حياتنا أيضا فهي التى تبخر
مياه البحر وترفعها غيوما فى الجو وتنزلها أمطارا على الأرض حيث
يجري جداول وأنهار . تروى زرعنا وتنمى أغراسنا . وتثير الرياح

وتهبج الانواء فتطهر الهواء وتنقيه وتزجي السفن والمراكب في هباب المحيط وهي التي تبحر المركبات وتدير الآلات وما الفهم الجبهي إلا حرارة نورها المدخر منذ قديم الدهر لتنتفع به المصور المتأخر. فالحيوانات تمش بحرارته والاطيار تفرد بانوارها وتصبح تسبيحاً بحرارته وانوارها. يبرغ النبات وتنمو الاشجار وتزهو الازهار وتنضج الاشجار فنحن مديونون للشمس بما كلنا ومشربنا وملبسنا وهي علة وجودنا على هذه الارض .

عدل الطبيعة :

الطبيعة لم تخص النظر وحده باللمعة واللذة بل قسمت اسائر الحواس نصيباً وافراً . فلا تسمع مثلاً ما هنا لك من أصوات تشف الآذان وتطربها من كل جميل بحد ذاته أو بما يذكر به من محبوب أو مألوف كزققة العصفور وفواح الحمام ودمدمة النحل وحفيف الاوراق وترقرق الماء وهنا لك الوف من النغمات المطربة والشجعة توقعها الطبيعة على أو تار خفيفة لتسر أبنائها وعشاقها أبر الابناء وأسعد العاشقين وهكذا بقية الحواس .

النوم في حياة الانسان :

النوم من البركات التي أنعمت بها الطبيعة على الانسان وعلى الحيوان على السواء . وهو الستر يسدل على الافكار والهواجس والوساوس . وكالطعام يخمد نائرة الجوع . وكالشراب يروي الغليل وينعش الصدبان ويرد رمق الظمان .

لماذا ننام يا ترى ؟ النقص في تلك العمر في حالة عدم الشعور ؟ .
قال المر توماس برون أننا نعيش نصف أيامنا في ظل الأرض
وأخر الموت يسلبنا تلك العمر . والجواب هو أنه لا بد للجسم من
الراحة ولكن هذا الجواب ناقص لأن الدماغ مركز العقل لا ينام
كسائر أعضاء الجسم ونظل الأفكار خاطرة سائحة ذاهبة آتية طليقة
من سلطة الإرادة وأحكامها ولكن مع أن العقل لا ينام فكنا يعلم
كيف يحدد النوم قوة الإنسان وينمسه وينشطه .

ان بعض الحيوانات تنام ولكن كثيرا منها نهاره ليله وليله نهاره
فالحياة في عالم الحيوان جهاد وعناء وتنازع بقاء وحرب الاسنة
فيها أنياب والنضال مخالب وبرائن وفيها أسلحة وطرق جريئة أخرى
دفاعية وهجومية .

تأملات في عالم الحيوان

النمل :

هل تعلم أن عدد الجماعة منها تقدر بنحو أو يزيد وهل
تعلم أنه يستحيل أن يختصم نملتان من جماعة واحدة وفي ذلك عظمة
لا بناء الوطن الواحد من بني الانسان .

وهل تعلم أن نمل قرية ما تنكر نمل أي قرية أخرى ولو كانت
من فصائلها . وهذه غاية التعصب للوطن والغيرة على أفرادها . فالوطنية
وحفظ الوداد عند النمل طبيعة غريزية لا تمنحى .

وقد اتضح أن نمل القرية الواحدة يتعارفن ويتميزن فيما بينهم حتى عند عدم استطاعة ابداء العلامة أو كلمة السر .

يستفاد من هذا أن النمل شديد العطف بعضه على بعض وأنه ذو « إنسانية » بقدر ما عنده من الغيرة والمروءة اللتين يدعيهما الإنسان لنفسه فقط . ويقال أن الذئب إذا مرض أحدها تطرده وفاقه ورعا قتلاته وافرسته . أما النملة فليست على شيء من خيانة الذئب وغدره حتى برفيقه .

النملة لا تستطيع أن ترسل صاحبها حيث تريد ولكنها تستصحبها وتذهب بها إلى المسكان الممهد ولا يخفى ما بين الأمرين من عظيم الفرق في نظر من يريد تقدير ما للحشرات من الفطنة والفهم ولا حظ هو بر العالم الطبيعي أن في النمل سيدا ومسودا وخادما ومخدوما فإذا أرادت طائفة من النمل المستعبد الانتقال من مكان إلى آخر كان هنالك أمات يحمان سيداتهن ويذهبن بهن حيث شئن - على أن اتكال بعض النمل على عبيده بلغ منه مبلغ أنه يقدم له الطعام فلا يحسه ويظل على جوعه إلى أن تأتى عبيده وتطعمه .

وقد تجد في قرية النمل أحيانا هوام أصغر منه وأقل ادراكا ونسبتها إليه كنسبة الحيوانات إلى استخدمها الإنسان وسماها اليفه ودأجته إلى الإنسان . فبعض فصائله يستخدم الهوام المعروفة بالافيد وتكون له كالبقر ولكونها بقر « ندر أبنا وعسلا » فإن المادة التي تفرزها رطوبة كالندى وحلوة كالشهد . والنمل خلاق حكيم ينظر إلى

الانسان ويحسب المستقبل . فهو يحصى هذه المحرمات ويضع بينها في
المشرىف استعدادا للربيع الثاني .

حول عالم الحيوان :

كثيرا ما يحسد الناس الحيوانات على حريتها وانطلاقها بدون
قيود أو سلاسل شرائع وقد قال روسكين .

السمكة أطلق حريته من الانسان أما الذبابة فهي الحرة متجسدة
في جدران أسود .

وأى لفظ أعذب على اللسان من الحرية وأى من آخذ بجامع
النفوس من معناها ؟ لكن أرى أن كلام روسكين فيه شيء من المبالاة
فجميع أذن سفار الدجماوات تلمو وتقلب ولين كبارها تنهم للحياة
وتحسب الموت عن طريق الجوع الف حساب انظرالى بعض أسراب
الطيور تجدها اتخذت لها من الحدائق والمزارع مواطن لا تتخلى عنها
ولا تفارقها الا مكرمة مفارقة على أمرها حتى لقد يخيل لك أنها
تعرف ما هيبة الحقوق الشخصية وواجب الدفاع والذود عنها وهي
من حيث الواجبات مقيدة بقيود العامل في عمله . والكاتب في ديوانه
بل أنها عرضة لمخاطر ومخاوف نحن في مأمن منها ونحفوظة بمالك من
حيائل وأشراك قلبا ينصب لنا مثاما .

فعالم التماهى في حسد تلك المخلوقات اللطيفة الضعيفة .

وكم تتفنى حرية الظياء الطليقة السارحة الهائمة من هواها في كل

وان . فلا يذهبن عما أن لفقات الظبي إنما هي لفقات الخائف المذعور
وان كانت أشبه شيء بنظرات الحور وان نفوره مما هو نفور والرهيب
والرعب لا تباعد الدلال كما يتوهم الشعراء .

إذا حاققت ممي على جناح الفكر في سماء الغابات وأرسلت طرف
الخيال إلى ما دونك من الأشجار الباسقة والمتسائل الفضة وجملت
ترقب ذهاب ذوات الأربع وإياب ذوات الجناح ورواح الهوام
وغدو الحشرات كل في حاجته وسيله - تخيل لك أن الطبيعة آدبة
عأدبة ومقيمة وليلة تغنى فيها الاطيسار وترقص الاغصان ويطرب
الجميع . وما قوالك في خلق من مبادئه الاستعداد الدائم لجمارة الصديق
ومقاومة العدو والعمل للحاضر وكف النظر عن الماضي ورفضه دون
الغد . وقاعدته الذهبية من لا يحصل قوته بيده فلا قوت له . ان
عقلا هذه مبادئه حق له ألا تبرح السمادة أو طانه وأن تكون هي
حضياه ليله وسناء نهاره .



الآن أيها القاري العزيز وقد تصفحت هذا الموجهن الاخلاقي في
النجاح فلا بد أن تكون قد أعددت المسدة ومهدت لعقلك مبادئ
الوصول إلى الحرية وإدراك الارادة الموقفة وتنميتها بإثهاض النفس
وقيادتها وبمد ذلك ممكنك انبعاثها بمتع الحياة الفاضلة في ظل
الاخلاق العالية الناجحة .

ترقب ظهور الكتاب الثاني للمؤلف والمقدم في
مسابقة مجمع فؤاد الأول للغة العربية لسنة ١٩٥٠
بحث رفيع في الاخلاق

تحت عنوان

تكوينه وخصيه اخلاقية في

مبادئ البحث